ق

الفَتاةُ الَّتي أَبْكَتْني

تأليف: شادي سيّد

"في فَصلِ مَدرَسَةٍ ما"

"إنْ كانَتْ تَمضِيَةُ وَقتٍ في أستوديو رَسْمٍ مهجورٍ بِمدرَسَةٍ حُكوميَّةٍ مِثالًا لِلنَّشاطاتِ الَّتي أَحتاجُ إلى أن أَقومَ بِها، كَي أَكتَسِبَ المَزيدَ مِنَ الأَصدِقاءِ، فَلا عَجَبَ أَنّي فاشِلَةٌ اجتماعيًّا"... رَدَّتْ سارَةُ عَلى زَميلَتِها عَبيرَ الَّتي حَدَّقَتْ بِها بِغَضَبٍ لِوَهلَةٍ، ثُمَّ عَدَّلَتْ مِن مَلامِحِها لِتَرتَدِيَ قِناعَ المَوَدَّةِ مَرَّةً أُخرى... لا، لَيسَتِ المَوَدَّةُ، بَلِ "التَّقَبُّلُ" هُوَ التَّعبيرُ الأَنسَبُ هُنا، فَمِنَ الواضِحِ أَنَّها لَم تَبْدُ شَديدَةَ الإعجابِ بِشَخصِ سارَةَ، فَقَد كانَتْ تَقْرَبُها وَكَأَنَّها تَقتَرِبُ مِن صُرصورٍ أَو حَشَرَةٍ، عِندَما بَدَأَتْ تَدْعوها لِتَمْضِيَةِ بَعضِ الوَقتِ مَعَها، هِيَ وَصاحِباتِها في غُرفَةِ مادَّةِ التَّربِيَةِ الفَنِّيَّةِ المَهجورَةِ، صَباحَ اليَومِ التّالي قَبلَ بَدْءِ طابورِ الصَّباحِ.

- لا، حَقًّا... يَجِبُ أَنْ تَأتي! أَنا أَعلَمُ أَنَّني أَنا وَالفَتَياتِ، كُنّا نُضايِقُكِ قَليلًا في الماضي، وَلَكِنْ...

- قَليلًا؟! لا أَعلَمُ إنْ كانَ مِنَ المُمكِنِ تَسمِيَةُ تَخصيصِ وَقتٍ مِن يَومِكُنَّ الدِّراسِيِّ، كُلَّ يَومٍ تَقريبًا لِإهانَتي أَمامَ بَقيَّةِ الفَصلِ "بِالقَليلِ" لِأَصْدُقَكِ القَولَ يا عَبيرُ.

- أَ... أَعلَمُ، أَعلَمُ... وَلَكِنْ، هذا بِالضَّبطِ هُوَ سَبَبُ دَعوتِكِ إلى هذِهِ الحَفلَةِ؛ أَعِدُكِ أَنَّكِ سَتَستَمتِعينَ مَعَنا كَثيرًا، وَلَرُبَّما نَستَطيعُ أَخيرًا أَن نُلقِيَ الماضِيَ وَراءَنا، وَنُصبِحَ أَصدِقاءَ بِحَقٍّ، فَنَحنُ عَلى وَشْكِ التَّخَرُّجِ إلى المَرحَلَةِ الجامِعيَّةِ، وَلا نُريدُ أَنْ تُشَوِّهَ بِضعَةُ مَقالِبَ طُفوليَّةٍ عَلاقَتَنا بِبَعضِنا البَعضِ لِلأَبَدِ.

- أَو لَرُبَّما أَنتُنَّ تُرِدْنَ أَن تُصَدِّقْنَ كِذبَتَكُنَّ الَّتي انتَشَرَتْ في المَدرَسَةِ عَن كَونِكُنَّ مِثاليّاتٍ، لَيسَ فَقَط في المَظهَرِ، بَل أَيضًا في الجَوهَرِ بِمُصاحَبَةِ الجَميعِ، حَتّى الفَتاةِ المَنبوذَةِ، قَبلَ التَّخَرُّجِ.

نَظَرَتْ عَبيرُ فَجأَةً لَها بِحَنَقٍ، وَقَد بَدا أَنَّها قَدِ استَنفَدَتْ ما تَبَقّى مِن مَخزونِ الوُدِّ الشَّحيحِ لَدَيْها، ثُمَّ رَدَّتْ مِن تَحتِ أَضراسِها: "أَستَأتينَ أَم لا؟!".

وَلكِـنَّ سـارَةَ فاجَأَتْها بِـرَدٍّ سَـريعٍ بِالـمُوافقَةِ، وَقَـدِ ارتَسَـمَتِ ابتِسـامَةٌ واسِـعَةٌ عَلـى وَجهِهـا، مِـمّا تَـرَكَ عَبيـرَ مُرتَبِكَـةً فـي حَيـرَةٍ مِـن أَمرِهـا. لا تَسـتَطيعُ أَن تُـخَمِّنَ ما يَدورُ بِعَقلِ تِلكَ الفَتاةِ الغَريبَةِ المُتَقَلِّبَةِ الـمِزاجِ!

"حَـ... حَسَـنًا إِذَن! عَلـى أَيِّ حـالٍ، سَـنَتَقابَلُ غَـدًا قَبـلَ طابـورِ الصَّـباحِ بِسـاعَةٍ فَيَجِـبُ أَن تَدخُلـي الـمَدرَسَةَ، فَـورَ فَتْـحِ البَوّابَـةِ، وَلا تَتَأَخَّـري". مـا إِنْ أَنهَـتْ عَبيـرُ جُملَتَهـا، حَتّـى انصَرَفَـتْ مِـن أَمـامِ سـارَةَ إِلـى مَقعَدِهـا فـي الفَصـلِ وَكَأَنَّها تَهرُبُ مِن رائِحَةٍ كَريهَةٍ.

"تِلـكَ الفَتـاةُ تَحتـاجُ إِلـى أَن تُصلِـحَ مَهاراتِهـا الاجتِماعيَّـةَ"، سَـخِرَتْ سـارَةُ بَينَهـا وَبَيـنَ نَفسِـها، واعِيَـةً بِالتَّناقُـضِ فـي حُكمِهـا -وَعَلـى الأَخَـصِّ هـيَ- عَلـى المَهـاراتِ الاجتِماعيَّـةِ لِفَتـاةٍ أُخـرى، وَلكِنَّهـا لَـم تُبْـدِ أَيَّ مُبـالاةٍ، فَلا يَهُمُّهـا أَيٌّ مِـن هـذا... الـمُهِمُّ أَنَّهـا إِذا اسـتَطاعَتْ أَن تَكسِـبَ وُدَّ أَشـهَرِ شِـلَّةِ فَتَيـاتٍ وَأَشـنَعِها فـي المَدرَسَـةِ، بِحُضـورِ حَفلَـةٍ سِـرِّيَّةٍ سَـخيفَةٍ، لَـن تَحْظـى فَقَـط بِهِـنَّ كَصَديقـاتٍ، بَـل قَـد تَحْظـى أَيضًـا بِنِهايَـةِ عـامٍ هادِئَـةٍ بِمـا يَكفـي لِكَـي تَسـتَذكِرَ دُروسَها، دونَ أَيِّ ضُغوطاتٍ مِن مُضايَقاتِهِنَّ قَبلَ امتِحاناتِ نِهايَةِ العامِ.

عِندَما عـادَتْ إلـى بَيتِها ذلِكَ اليَـومَ، لاحَـظَ والِدُهـا أَنَّها تَبتَسِـمُ أَكثَـرَ مِـنَ الـمُعتادِ فَـورَ إلقائِها التَّحيَّـةَ، حيـنَ وَصَلَـتْ مِـنَ الـمَدرَسَةِ. وَرَغـمَ أَنَّ الفَـرقَ لَـم يَكُـنْ لِيَتَّضِحَ لِأَيِّ أَبٍ آخَـرَ، إلّا أَنَّـهُ كانَ واضِحًـا لَـهُ، بِمـا يَكْفـي، لِيَسأَلَـها:

"هَل حَدَثَ شَيءٌ جَيِّدٌ في الـمَدرَسَةِ اليَومَ؟".

"لا شَـيءَ جَيِّـدٌ فـي الـمَدارِسِ سِـوى جَـرَسِ نِهايَـةِ اليَـومِ الدِّراسـيِّ، وَأَنـتَ تَعلَمُ ذلِكَ!"، رَدَّتْ عَلَيهِ سارَةُ.

- وَلكِنْ، تِلكَ الابتِسامَةُ تَقولُ غَيرَ ذلِكَ.

تَـحَوَّلَتِ ابتِسـامَةُ سـارَةَ إلـى تَعبيـرٍ شـابَهُ الارتِبـاكُ وَالـخَجَلُ، وَتَلَعثَمَـتْ عِندَما حاوَلَتِ الرَّدَّ.

- أَهـا! إِذَنْ، فَأَنـا مُـحِقٌّ، لا بُـدَّ وَأَنَّ شَـيئًا مـا قَـد حَـدَثَ اليَـومَ! أَخبِريني إِذَنْ مـا هُـوَ؟ هَـل أَعـادوا فَتْحَ غُرفَـةِ الرَّسـمِ القَديمَـةِ؟ أَم كانَ الـدَّرسُ اليَـومَ عَـن أُسطورَةٍ مُرعِبَـةٍ مـا، وواتَتْـكِ الفُرصَـةُ لِكَـي تَتَفاخَـري بِمَعلوماتِـكِ الغَريبَـةِ؟! أَم... مَهلًا!...

نَظَرَ أَبوها لَـها بِعَينَينِ ضَيِّقَتَينِ، وَهُوَ يَـحُكُّ لِـحيَتَهُ، ثُمَّ أَكمَلَ:

"لا تُـخبِريني أَنَّ أَحَـدَ الفِتيـانِ فـي الـمَدرَسَةِ الـمُجاوِرَةِ حـاوَلَ التَّكَلُّـمَ مَعَـكِ فَأَنا أَعلَمُ أَنَّكِ في هذا السِّنِّ، وَلكِن يَجِبُ أَن تَعلَمي أَنَّني لَن أَسمَـ..."

قاطَعَتْـهُ سـارَةُ بِنَبـرَةٍ مُتَذَمِّـرَةٍ، وَهِـيَ تُـخْفي وَجهَهـا مِـن شِـدَّةِ الـخَجَلِ:

"أَبـي... لاااا، تَوَقَّـفْ عَـنِ التَّخمينِ، أَرجـوكَ، فَـإِنْ لَـم أَمُـتْ مِـنَ الـخَجَلِ سَـأَموتُ حَتمًـا مِـنَ النَّـدَمِ عَلـى كُلِّ التَّجـارِبِ الـمُثيرَةِ الَّتـي جَعَلْتَنـي لِلتَّـوِّ أُلاحِـظُ أَنَّها فاتَتْنـي بِالفِعـلِ!"، فَضَحِـكَ والِدُهـا، ثُـمَّ تَوَقَّـفَ فَجأَةً، وَسَأَلَـها:

"مَهلًا... أَتَقصِدينَ أَنَّكِ تَتَمَنَّينَ أَن يُكَلِّمَكِ أَحَدُ الفِتيـ...".

"لَقَـد دَعَتْنـي إِحْـدى زَميلاتـي إلـى حُضـورِ حَفلَـةٍ مَدرسيَّةٍ!"، قاطَعَتْـهُ سـارَةُ بِسُرعَةٍ.

- أوه... حَقًّا! مَنْ؟

- عَبيرُ.

- مَـهلًا... مـاذا؟! أَلَيسَـتْ تِلـكَ الفَتـاةَ الَّتـي كانَـتْ تُضايِقُـكِ، وَاشـتَكَيْتِها إلـى مُديرِ الـمَدرَسَةِ؟!

- نَعَم، وَلكِن يَبْدو أَنَّها تُريدُ أَن تُصالِحَني قَبلَ أَن تَتَخَرَّج، وَدَعَتْني إلى حُضورِ حَفلَةٍ مَعَها، هِيَ وَصَديقاتُها غَدًا.

- سارَةُ...

- ماذا؟

نَظَرَ أَبوها لَها بِشَفَقَةٍ لِوَهلَةٍ، ثُمَّ عَدَلَ عَن ذلِكَ بِسُرعَةٍ، وَتَحَوَّلَ وَجهُهُ إلى تَعبيرٍ مُتَفَهِّمٍ، وَإنْ شابَهُ بَعضُ القَلَقِ، وَأَجابَ: "لا شَيءَ... فَقَط كوني حَذِرَةً، وَأَعلِميني كَيفَ سَتَسيرُ الأُمورُ غَدًا!".

رَفَعَتْ سارَةُ وَجهَها لَهُ أَخيرًا بِابتِسامَةٍ واسِعَةٍ، وَأَخبَرَتْهُ أَنَّها سَتَفعَلُ، قَبلَ أَن تَنصَرِفَ إلى غُرفَتِها بِحَماسٍ.

لَم يُرِدْ حَمدي أَن يُقلِقَ فَتاتَهُ بِشُكوكِهِ، وَيَقتُلَ أَوَّلَ فُرصَةٍ حَقيقيَّةٍ لَها لِتَكوينِ صَداقاتٍ، فَقَد واجَهَتْ صُعوباتٍ عِدَّةً في ذلِكَ طَوالَ حَياتِها الدِّراسيَّةِ، وَخُصوصًا مُنذُ أَن تُوُفِّيَتْ والِدَتُها... وَقْتَها شَعَرَ أَنَّها تَبتَعِدُ عَنهُ إلى مَكانٍ لا رَجعَةَ مِنهُ، تُخْفي دُموعَها بِاستِمرارٍ، وَلا تَتَكَلَّمُ كَثيرًا... وَقتَها شَعَرَ أَنَّهُ قَد يَفقِدُها كَما فَقَدَ أُمَّها، فَغَيَّرَ مَجالَ عَمَلِهِ لِعَمَلٍ ذي مُرَتَّبٍ شَهريٍّ أَقَلَّ نِسبيًّا، لكِنَّهُ يَسمَحُ لَهُ بِأَن يُمضِيَ وَقتًا أَطوَلَ مَعَها وَهُو ما أَتاحَ لِعَلاقَتِهِما أَن تُصبِحَ أَقْوى مِن أَيِّ وَقتٍ مَضى، وَلكِنَّهُ شَعَرَ أَيضًا بِخَوفِهِ عَلَيها يَتَضاعَفُ، وَكَأَنَّهُ يَحمِلُ خَوفَهُ هُوَ وَزَوجَتِهِ المُتَوَفّاةِ فَوقَ ذلِكَ. وَتِلكَ الحَفلَةُ... لَم يَشعُرْ أَنَّها سَتَسيرُ كَما تَتَوَقَّعُ سارَةُ لِسَبَبٍ ما!

"غُرفَةُ التَّربيَةِ الفَنِّيَّةِ"

عِندَما وَصَلَتْ سارَةُ إلى غُرفَةِ مادَّةِ التَّربِيَةِ الفَنِّيَّةِ صَباحَ اليَومِ التّالي وَرَغمَ أَنَّها تَتَذَكَّرُها جَيِّدًا، لكِنَّها لاحَظَتْ كَيفَ أَنَّها في كُلِّ مَرَّةٍ تَتَفاجَأُ بِـ"كَمْ هِيَ مَهجورَةٌ"!... فَقَد كانَ صَريرُ البابِ يَدُلُّ عَلى أَنَّهُ لَم يُفتَحْ مُنذُ سِنينَ، وَما وَراءَ البابِ كانَ في حالَةٍ مُزْرِيَةٍ... فُرَشٌ وَأَلوانٌ وَأَلواحٌ قُماشِيَّةٌ دُفِنَتْ تَحتَ طَبَقاتٍ مِنَ الغُبارِ وَالأَترِبَةِ، رَغمَ النّافِذَةِ المُغلَقَةِ وَالَّتي بِالكادِ يَتَسَلَّلُ مِنها القَليلُ مِن ضَوءِ الشَّمسِ إلى الدّاخِلِ.

"عَبيرُ! لَقَد أَتيتُ كَما طَلَبتِ، مَعَ أَنَّني لا أَعرِفُ السَّبَبَ... هَل أَنتُنَّ هُنا؟"، وَجَّهَتْ سارَةُ سُؤالَها إلى الرُّكنِ المُظلِمِ مِنَ الغُرفَةِ، لا تَعلَمُ كَيفَ تَتَوَقَّعُ أَن تَخرُجَ مِنهُ عَبيرُ وَصَديقاتُها! وَلكِنَّها تَأمُلُ بِأَلّا تَكونَ قَد صَحَتْ، وَجاءَتِ المَدرَسَةَ مُبَكِّرًا دونَ سَبَبٍ.

"أوف، يا لَلرَّوعَةِ!"... زَفَرَتْ سارَةُ مُتَذَمِّرَةً، وَاستَدارَتْ لِتَخرُجَ وَتَنتَظِرَهُم في الـ... *طراخ*

كانَ هـذا صَـوتَ البـابِ الـرَّثِّ يُغلَـقُ بِقُـوَّةٍ، حَتّـى كادَ يَتَكَسَّـرُ، مِـمّا أَجفَلَها فَتَقَدَّمَـتْ بِبُـطءٍ، مُتَمَنِّيَـةً أَن تكونَ الرِّيـاحُ هِـيَ السَّـبَبَ لَيـسَ إلّا، وَحاوَلَـتْ فَتْحَهُ، لكِنَّهُ لَـم يُفتَحْ.

"هَـل مِـن أَحَـدٍ هُنـا؟ هَلّا سـاعَدْتُموني فـي فَتـحِ هـذا البـابِ، رَجـاءً؟" صاحَـتْ سـارَةُ، مُنتَظِـرَةً أَن يَسـمَعَها شَـخصٌ مـا عَلـى النّاحِيَـةِ الأُخـرى مُباشَرَةً، وَقَـد كانَ، فَلَقَـد سَـمِعَتْ صَوتًـا مَألوفًـا، يَـرُدُّ عَلَيهـا: "عُـذرًا يـا سـارَةُ أَظُنُّ أَنَّ عَلَيكِ أَن تَصيحي بِصَوتٍ أَعلى قَليلًا، حَتّى تَسمَعَكِ".

إنَّهـا عَبيـرُ، لَقَـد أَغلَقَـتِ البـابَ بِشَـكلٍ مـا... سـارَةُ تَسـمَعُ صَـوتَ ضِحـكاتِ صَديقاتِها خَلفَها... سُحْقًا!

- عَمَّ تَتَحَدَّثينَ؟ مَنِ الَّتي سَتَسمَعُني؟ افتَحي البابَ فَورًا!

- هَنـاءُ بِالطَّبـعِ! الفَتـاةُ الَّتـي قُتِلَـتْ مُنـذُ عِـدَّةِ سِـنينَ فـي هـذِهِ الغُرفَـةِ الَّتـي أَنـتِ مَـحبوسَةٌ فيهـا الآنَ! فـي هـذِهِ الغُرفَـةِ يَـحومُ شَـبَحُها كُلَّ لَيلَـةٍ، باحِثًـا عَن فَتاةٍ أُخرى لِتَأخُذَ مَكانَها؛ لِـهذا لا أَحَدَ يَقرَبُ هذا الدَّورَ كُلَّهُ أَبَدًا!

- إنْ كُنّا نَتَحَدَّثُ عَن شَبَحِ فَتاةٍ مَيِّتَةٍ، فَأَظُنُّ أَنَّ هُنالِكَ العَديدَ مِنهُنَّ يَضحَكْنَ وَراءَكِ حالًا.

سَـمِعَتْ سـارَةُ صَـوتَ ضِحـكاتِ صَديقـاتِ عَبيـرَ يَتَوَقَّـفُ، سِـوى واحِـدَةٍ فَقَط، قَبلَ أَن تَشعُرَ بِزَميلاتِها تَنهَرْنَها حَتّى تَصمُتَ.

- هـا أَنـتِ كَعادَتِـكِ، بِدُعاباتِـكِ السَّـخيفَةِ! لا أَمَـلَ مِنـكِ حَقًّـا... أَتَعلَمينَ ذلِـكَ؟ لَقَـد كُنّـا نَنْـوي أَن نَجعَـلَ هـذِهِ السَّـنَةَ سَـهلَةً عَلَيـكِ، رَغـمَ خَيالاتِـكِ العَجيبَـةِ وَحَديثِـكِ مَـعَ الـهَواءِ، وَلكِـنَّ سُـخرِيَتَكِ الـمُستَمِرَّةَ مِـن كُلِّ مَـن حَولَكِ، هِيَ ما يَمنَعُنا مِن مُصاحَبَتِكِ.

- لَـم أَطلُـبْ مِنكُـنَّ أَن تُصاحِبْنَنـي! أَنـا فَقَـط أَردتُ أَن تَترُكْنَني بِمُفـرَدي، وَلكِنَّكُنَّ لا تَسـتَطِعْنَ أَن تَتَوَقَّفْـنَ عَـن مُضايَقَـةِ الآخَريـنَ؛ لِأَنَّكُـنَّ فَتيـاتٌ ناقِصـاتٌ وَتَشعُرْنَ دائِمًـا أَنَّ التَّقليـلَ مِـمَّن حَولَكُـنَّ يُقَرِّبُكُنَّ إلـى الكَمالِ! إنَّ التَّحَـدُّثَ مَعَ الهَواءِ بِالنِّسبَةِ لي، أَرحَمُ مِليونَ مَرَّةٍ مِنَ التَّحَدُّثِ مَعَ إحداكُنَّ!

ظَنَّـتْ سـارَةُ أَنَّهـا تَستَطيعُ شَـمَّ الدُّخانِ يَنبَعِـثُ مِـن أُذُنَـيْ عَبيرَ، الَّتي صَمَتَتْ لِوَهلَـةٍ، ثُـمَّ رَدَّتْ وَهِـيَ تُحكِـمُ قَبضَتَهـا المُمسِـكَةَ بِمِفتـاحِ البـابِ: "حَسَـنًا إذَنْ يا غَريبَةَ الأَطوارِ! لَقَد كُنتُ أَنْوي أَن أُخرِجَكِ مِن هُنا بَعدَ انتِهاءِ اليَومِ الدِّراسيِّ

وَلكِـنْ، إنْ كُنـتِ تُـحِبّينَ التَّحَـدُّثَ مَـعَ الـهَواءِ إلـى هـذا الـحَدِّ، فَعَلـى الأَقَـلِّ سَتَجِدينَ هُنا مُبتَغاكِ، أوصِلي تَـحِيّاتي إلى هَناءَ!".

سَـمِعَتْ سـارَةُ خُطُـواتِ الفَتَيـاتِ تَبتَعِـدُ، فَعـادَتْ إلـى طَـرَفِ الغُرفَـةِ الآخَـرِ لِتَنظُـرَ مِـنَ النّافِـذَةِ، وَلكِنَّهـا وَجَـدَتْ أَحَـدَ مَبانـي الـمَدرَسَةِ يَصُـدُّ رُؤيَتَهـا وَفَهِمَـتْ لِـماذا لا يَنبَعِـثُ ضَـوءٌ كافٍ مِنهـا! كَمـا أَنَّ النّافِـذَةَ لَـم تَسـتَجِبْ لِـمُحاولاتِ فَتْحِها، فَقَد نالَ مِنها الصَّدأُ، وَأوصِدَ قُفْلُها، كَما تَوَقَّعَتْ.

هُنـا، جَلَسَـتْ سـارَةُ مُسـتَنِدَةً عَلـى الحائِـطِ فـي وَضـعِ الـجَنينِ، وَأَسـقَطَتْ رَأسَـها بَيـنَ رُكبَتَيْهـا، فَسَـمِعَتْ أَصواتًـا غَريبَـةً مَعَهـا بِالغُرفَـةِ، قادِمَـةً مِـنَ الرُّكنِ الـمُظلِمِ، وَكَأَنَّ شَخصًا ما يَـجُرُّ نَفسَهُ نَحوَها.

"أَهلًا هَناءُ"... قالَت سارَةُ، دونَ أَن تُـخرِجَ رَأسَها مِن بَينِ رُكبَتَيْها.

"تِلـكَ الفَتَيـاتُ يُذَكِّرْنَـني بِسَـبَبِ كُرْهـي لِـهذِهِ الـمَدرَسَةِ قَبـلَ أَن أَمـوتَ بِهـا وَيُصبِـحَ لَـدَيَّ سَـبَبٌ أَكبَـرُ لِكُرهِهـا"، قالَـتْ فَتـاةٌ صَغيـرَةٌ لا تَتَعَـدّى الثّانِيَـةَ عَشْـرَةَ، ذاتُ صـورَةٍ شَـفّافَةٍ قَلـيلًا، تَرتَـدي زِيًّـا مَدرَسـيًّا قَديمًـا، لَطَّخَـتِ الدِّمـاءُ الجافَّةُ وَجْهَها، تَتَحَرَّكُ بِطَريقَةٍ غَريبَةٍ سَبَبُها كَسْرُ قَصَبَةِ إحدى ساقَيْها.

- لا تُعيريهُنَّ اهتِمامًا، هُنَّ لا يَعرِفْنَ حتّى لِمَ يَفعَلْنَ ما يَفعَلْنَ! فَقَط يَفعَلْنَهُ.

- إنْ كانَ هذا حَقيقيًّا، فَلا بُدَّ أَنَّهُنَّ يَعرِفْنَ الآنَ بَعدَ خِطابِكِ اللّاذِعِ.

- لَقد كُنتُ شَديدَةَ اللَّهجَةِ مَعَهُنَّ تِلكَ المَرَّةَ بِالفِعلِ، أَلَم أَكُنْ كَذلِكَ؟

لَم تَرُدَّ الفَتاةُ عَلى سارَةَ، وَعِندَما نَظَرَتْ إلَيها وَجَدَتْها تَبتَسِمُ لَها، رافِعَةً حاجِبًا، فَضَحِكَتا في آنٍ واحِدٍ.

- يَبْدو أَنَّكِ كُنتِ شَديدَةَ اللَّهجَةِ، لِدَرَجَةِ أَنَّ إحداهُنَّ لَم تَستَطِعْ أَن تَذهَبَ مَعَهُنَّ.

- ماذا تَقصِدينَ؟

هُنا أَومَأَتْ هَناءُ نَحوَ البابِ، فَتَقَدَّمَتْ سارَةُ نَحوَهُ بِبُطءٍ، وَسَأَلَتْ بِصَوتٍ عالٍ: "هَل ما يَزالُ أَحَدٌ هُنا؟"، فَلَم تَجِدْ رَدًّا! ما جَعَلَها تَنظُرُ إلى هَناءَ، مُستَفهِمَةً، وَلكِنَّ هَناءَ هَزَّتْ كَتِفَيْها المَكسورَتَينِ، وَقالَتْ لَها: أَظُنُّ أَنَّها... أَنَّها تِلكَ الفَتاةُ الَّتي تُسَمّى مَنالَ"، فَنَظَرَتْ سارَةُ نَحوَ البابِ مَرَّةً أُخرى قَبلَ أَن تَسأَلَ بِصَوتٍ خافِتٍ قَليلًا: "مَنالُ، أَهذا أَنتِ؟"، لكِنْ مُجَدَّدًا لَم تَسمَعْ إجابَةً، عَلى الأَقَلِّ لِبِضعِ ثَوانٍ، حَتّى قَطَعَ الصَّمتَ رَدُّ فَتاةٍ مِنَ النّاحِيَةِ الأُخرى: "كَيفَ فَعَلتِ هذا؟".

- فَعَلتُ ماذا؟ وَبِّخْتُكُنَّ؟!

- كَيفَ عَلِمتِ أَنَّهُ أَنا.

- ...

- وَلِماذا تَتَكَلَّمينَ بِأَصواتٍ أُخرى؟؟ لِماذا تُحَدِّثينَ نَفسَكِ بِأَصواتٍ مُختَلِفَةٍ؟

- ماذا؟

- لَقَد سَمِعتُكِ! أَنتِ تُمَثِّلينَ دَورَ شَبَحِ هَناءَ، وَتَرُدّينَ عَلى نَفسِكِ، وَلكِنْ لِماذا؟!

- أَتَقصِدينَ أَنَّكِ تَسمَعينَ هَناءَ؟

- كُفّي عَنِ الهُراءِ! أَنا أَعلَمُ أَنَّهُ لا وُجودَ لِأَيِّ شَبَحٍ! ما الَّذي يَدفَعُكِ إلى تَمثيلِ دَورِ فَتاةٍ مَيِّتَةٍ مُنذُ أَكثَرَ مِن 10 سَنَواتٍ؟

- وَما الَّذي يَدفَعُكِ أَن تَحبِسي فَتاةً في غُرفَةٍ ماتَتْ فيها فَتاةٌ مُنذُ أَكثَرَ مِن 10 سَنَواتٍ؟

- ...

- أَحَقًّا سَمِعْتِ صَوتَ فَتاةٍ؟!... ممم، أَقصِدُ صَوْتي، وَأَنا أُقَلِّدُ فَتاةً أُخرى؟

- نَعَم، وَأَجِدُ ذلِكَ فِعلًا مُقَزِّزًا لِلغايَةِ وَمُثيرًا لِلشَّفَقَةِ كَذلِكَ.

نَظَرَتْ سارَةُ نَحوَ هَناءَ مُستَغرِبَةً، وَلكِنَّ هَناءَ بَدا عَلَيها الفُضولُ، لا الاستِغرابُ، فَقَط قَبلَ أَن تَنفَذَ عَبرَ البابِ لِلنّاحِيَةِ الأُخرى، وَتَظهَرَ لِمَنالَ الَّتي بَدَأَتْ تَصرُخُ بِشَكلٍ هِستيريٍّ!

"لا، لا تَقلَقي! لَن تُؤْذِيَكِ! أَعِدُكِ!"، صاحَتْ بِها سارَةُ مِن خَلفِ البابِ وَلكِنَّ مَنالَ لَم تَكُفَّ عَنِ الصُّراخِ، حَتّى سَقَطَتْ عَلى الأَرضِ، وَارتَطَمَ رَأسُها بِالجِدارِ، فَصَمَتَتْ فَجأَةً، وَتَحَسَّسَتْ رَأسَها مُتَأَوِّهَةً.

أكملت سارَةُ: "أُؤَكِّدُ لكِ أَنَّها لَيسَتْ مُؤذِيَةً، وَلا تَستَطيعُ أَن تَفعَلَ لَكِ شَيئًا... لا تَخافي!"

أَضافَتْ هَناءُ في غَضَبٍ: "وَأَعِدُكِ أَنَّني، لَوْ كانَ بِإمكاني، لَآذَيْتُكِ بِالفِعلِ... فَأَنْتُنَّ مَجموعَةٌ مِنَ الفَتَياتِ الوَقِحاتِ، فَشِلَ أَهْلُكُنَّ في تَربِيَتِكُنَّ!"

مَنالُ: "مـ ماذا... وَلكِنْ، كَيفَ؟؟ أَأَنتِ حَقًّا شَبَحٌ؟!".

" مـ مـ ماذا؟ كـ كَيفَ؟؟" كَرَّرَتْ هَناءُ سُؤالَها بِشَكلٍ ساخِرٍ، وَهِيَ تَهُزُّ رَأسَها، وَتَحْوِلُ عَينَيْها، ثُمَّ ضَحِكَتْ هِيَ وَسارَةُ الَّتي لَم تَستَطِعْ أَن تَمنَعَ نَفسَها، فَتَحَوَّلَتْ دَهشَةُ مَنالَ إلى انزِعاجٍ، ثُمَّ سَقَطَتْ مُنهارَةً عِندَما صَرَخَتْ هَناءُ في وَجهِها... "عووو"، وَانطَلَقَتْ تَضحَكُ مَرَّةً أُخرى.

- أَهذا أَداءٌ عِفريتيٌّ كافٍ لَكِ، أَم ماذا؟ بِالطَّبعِ، أَنا شَبَحٌ! أَلَم أَنفُذْ عَبرَ ذلِكَ البابِ أَمامَكِ لِلتَّوِّ؟ حَقًّا! فَتَياتُ هذا الزَّمَنِ حَمْقاواتٌ لِلغايَةِ.

استَقامَتْ مَنالُ، وَنَفَضَتِ الغُبارَ عَن مَلابِسِها، ثُمَّ قالَتْ: "حَتّى مُواجَهَةُ شَبَحٍ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، غَيرُ كافٍ، لِأَنْ يَجعَلَني أَتَحَمَّلُ أَن أَستَمِعَ لِفَتاةٍ لَم تُغادِرْ غُرفَتَها مُنذُ أَكثَرَ مِن عَقدٍ، لِتَحكُمَ عَلى مُستَوى ذَكائي!".

هُنا تَوَقَّفَتْ كُلٌّ مِن هَناءَ وَسارَةَ عَنِ الضِّحكِ لِوَهلَةٍ، ثُمَّ انطَلَقَتا بِالضِّحكِ بِصَوتٍ أَعلى.

قالَتْ سارَةُ بَينَ ضِحْكاتِها: "لا... حَقًّا، كانَ ذلِكَ رَدًّا جَيِّدًا!"، وَتابَعَتْ هَناءُ: "يَجِبُ أَن أَعتَرِفَ... تِلكَ أَفضَلُ دُعابَةٍ يَقولُها شَخصٌ آخَرُ غَيرُ سارَةَ مُنذُ سِنينَ... شَخصٌ حَيٌّ عَلى الأَقَلِّ".

نَظَرَتْ مَنالُ إلى هَناءَ بِاستِغرابٍ، ثُمَّ إلى البابِ، وَتَقَدَّمَتْ نَحوَهُ وَأَخرَجَتْ مِفتاحًا مِن جَيبِها وَفَتَحَتْهُ بِمُنتَهى السَّلاسَةِ، فَانتَقَلَتْ حالَةُ الدَّهشَةِ مِنها إلى الفَتاتَينِ اللَّتَينِ وَقَفَتا مُحَدِّقَتَينِ فيها بِاستِغرابٍ، حَتّى أَجابَتِ السُّؤالَ الَّذي دارَ في رَأسَيْهِما بِثِقَةٍ غَريبَةٍ: "السَّبَبُ لِعَدَمِ ذَهابي مَعَهُنَّ، هُوَ أَنَّني أَرَدتُ أَن أُخرِجَكِ مِنَ الغُرفَةِ؛ لِأَنَّني شَعَرتُ أَنَّ هذا المَقْلَبَ بِالذّاتِ لَم يَكُنْ لَهُ داعٍ، حَتّى وَإنْ كُنتِ غَريبَةَ الأَطوارِ وَمُتَحَذْلِقَةً لِلغايَةِ، فَنَحنُ في نِهايَةِ العامِ، وَأَنا لا أُحِبُّ النِّهاياتِ الكَئيبَةَ".

رَكَلَتْ مَنالُ البابَ الخَشَبيَّ بِقُوَّةٍ، حَتّى تَكَسَّرَتِ الطَّبَقَةُ الخارِجيَّةُ مِن أَجزائِهِ المُتَهالِكَةِ: "وَلكِنْ، إنْ أَخبَرتِ أَيًّا مِنهُنَّ بِهذا، فَلَنْ يُصَدِّقْنَكِ! وَسَأُخبِرُهُنَّ بِأَنَّكِ استَخدَمتِ شَيئًا لِتَهشيمِ البابِ القَديمِ المُتَهالِكِ بَعدَما غادَرتُ أَنا".

صَمَتَتْ سارَةُ لِبِضعِ ثَوانٍ، تُحاوِلُ استيعابَ هذا التَّحَوُّلِ الغَريبِ في الأَحداثِ، ثُمَّ أَومَأَتْ بِالمُوافَقَةِ، وَسَأَلَتْ: "وَلكِنْ، لِماذا تَستَطيعينَ رُؤيَةَ هَناء؟؟".

- أَلَيسَ مِنَ المَفروضِ أَنْ أَراها؟

- لَم أَسمَعْ بِأَحَدٍ يَرى الأَشباحَ مِثْلي، سِوى أُمّي، وَكانَ ذلِكَ قَبلَ وَفاتِها بِفَترَةٍ قَصيرَةٍ بَعدَ أَن صَدَّقَتْني أَخيرًا؛ لِذا لَم أَلحَقْ أَن أُشارِكَها الكَثيرَ مِن خِبْراتي... هذا يَعني...

رَفَعَتْ سارَةُ يَدَ مَنالَ بَينَ كَفَّيْها، وَنَظَرَتْ إِلَيها مُبتَهِجَةً، وَفي عَينَيْها نُجومٌ كَما في الكارتون.

"هذا يَعني أَنَّكِ أَصبَحتِ غَريبَةَ الأَطوارِ مِثلي!".

كادَتْ مَنالُ أَن تَشعُرَ بِالتَّقَزُّزِ مِن رَدِّ الفَتاةِ، وَخُصوصًا أَنَّها لا تُحِبُّ أَن يَختَرِقَ أَحَدٌ مِساحَتَها الشَّخصيَّةَ إِلى هذا الحَدِّ، وَلكِنَّها لَمَحَتِ الشَّفَقَةَ عَلى وَجهِ هَناءَ، مِمّا جَعَلَها تُفَكِّرُ أَكثَرَ في كَلامِ سارَةَ، وَتُلاحِظُ أَنَّ مَعناهُ أَنَّها أَوَّلُ شَخصٍ تُشارِكُهُ تِلكَ التَّجرِبَةَ مُنذُ أَن فَقَدَتْ والِدَتَها.

قالَتْ مَنالُ في ضيقٍ مُفتَعَلٍ، وَهِيَ تُبعِدُ سارَةَ عَنها: "حَسَنًا، حَسَنًا فَقَط... لا تَلتَصِقي بي هكَذا"، ثُمَّ أَردَفَتْ: "هذِهِ فُرصَتُكِ إِذَنْ، كَي تُخبِريني بِكُلِّ ما يَجِبُ أَن أَتَعَلَّمَهُ بِخُصوصِ هذِهِ القُدرَةِ إِذا كانَ يَصِحُّ تَسمِيَتُها بِذلِكَ".

- أَظُنُّ أَنَّ مِنَ الأَفضَلِ أَن تُشاهِديها بِنَفسِكِ عِوَضًا عَن مُجَرَّدِ شَرحِها لَكِ كَي تَفهَميها جَيِّدًا.

- حَسَنًا، إِذَنْ لا تُخبِريني، أَريني.

ابتَسَمَتْ سارَةُ ابتِسامَةً خَبيثَةً بَعضَ الشَّيءِ، وَأَمسَكَتْ بِيَدِ مَنالَ الَّتي كانَتْ عَلى وَشْكِ الاحتِجاجِ مَرَّةً أُخرى، وَلكِنَّ سارَةَ سَحَبَتْها مِن يَدِها وَرَكَضَتْ بِها عَبرَ رَدْهاتِ المَدرَسَةِ، وَهِيَ تَصيحُ بِأَسماءِ أَشخاصٍ لَم تَسمَعْ عَنهُم مَنالُ مِن قَبلُ، بَل إِنَّ بَعضَ تِلكَ الأَسماءِ بَدَتْ قَديمَةً لِلغايَةِ، وَكَأَنَّها مِن أَزمانٍ وَعُصورٍ أُخرى... وَمَعَ كُلِّ اسمٍ تَنطِقُهُ يَخرُجُ مِنَ الجُدرانِ شَبَحٌ مُختَلِفٌ، حَتّى عَلى السَّلالِمِ!

بَدا وَكَأَنَّ هُناكَ أَشباحًا مُختبِئَةً في الظِّلالِ وَالأَماكِنِ المُعتِمَةِ، شَعَرَتْ مَنالُ بِنَفسِها في مَزيجٍ بَينَ حُلمٍ عَبَثيٍّ وَكابوسٍ ساذِجٍ، وَهِيَ تَركُضُ مَعَ فَتاةٍ مُبتَهِجَةٍ بِشَكلٍ غَيرِ مَنطِقيٍّ، بَينَما يَتَقَدَّمُ مِن حَولِهِما ظِلالُ أَشخاصٍ ماتوا مِن أَزمِنَةٍ مُختَلِفَةٍ، يُلقونَ التَّحيَّةَ، وَيَبتَسِمونَ، أَو يَرمُقونَها بِنَظَراتِ استِغرابٍ، وَكَأَنَّها هِيَ الغَريبَةُ هُنا، بَعضُهُم تَهَشَّمَتْ عِظامُهُ، أَوِ الْتَوَتْ رَقَبَتُهُ، أَو لَوَّثَتِ الدِّماءُ وَجهَهُ وَرَقَبَتَهُ، وَلكِنْ، لا يَبْدو عَليهِمُ الانزِعاجُ أَوِ الأَلَمُ، وَإِنْ ظَهَرَ عَلى بَعضِهِمُ الحُزنُ أَوِ الوَحدَةُ، وَكانوا جَميعًا شَفّافينَ قَليلًا، يَتَخَلَّلُهُمُ الضَّوءُ بِدَرَجاتٍ مُختَلِفَةٍ.

تَوَقَّفَتْ سارَةُ أَخيرًا في وَسَطِ أَحَدِ الفُصولِ الواسِعَةِ؛ لِتَنظُرَ مَعَ مَنالَ لِكُلِّ مَن جَمَعَتْهُم مِنَ الأَشباحِ وَالعَفاريتِ مِن حَولِها، وَأَلقَتْ عَلَيهِمُ التَّحيَّةَ، وَبَدَأَتْ تُعَرِّفُهُم عَلى صَديقَتِها الجَديدَةِ.

"آسِفَةٌ لِإيقاظِكُم يا جَماعَةُ، أَعلَمُ أَنَّ الوَقتَ مُبَكِّرٌ، وَلكِنْ، لَيسَ هُناكَ وَقتٌ... هذِهِ هِيَ..."، وَلكِنَّ مَنالَ قاطَعَتْها فَجأَةً لِتُقَدِّمَ نَفسَها بِنَفسِها بِشَجاعَةٍ لَم تَعلَمْ أَنَّها لَديها:

"أَنـا مَنـالُ، اليـومُ هُـوَ أَوَّلُ يَـومٍ أَسـتَطيعُ فيـهِ أَنْ أَراكُـمْ، وَأَتَـحَدَّثَ مَعَكُـم هكَـذا، مِثلَ سارَةَ... أَتَـمَنّى أَن تُرَحِّبـوا بـي، كَمـا سَأُرَحِّبُ بِكُـم فـي حَياتـي مِـن حيـنٍ لآخَـرَ، وَأَلّا نَكـونَ مَصـدَرَ إزعـاجٍ لِبَعضِنـا البَعـضِ؛ فَأَنـا أُقَـدِّرُ خُصوصِيَّتـي لِلغايَـةِ، وَأَتَـمَنّى أَن أُحافِـظَ عَلَيهـا، وَبِالنَّظَـرِ لِوُجوهِكُـم، أَعلَـمُ أَنَّ أَغلَبَكُم كَذلِكَ أَيضًا".

نَظَـرَ الأَشباحُ إلـى بَعضِهِـمُ البَعضِ فـي تَعَجُّـبٍ، ثُـمَّ قـالَ أَحَدُهُـم: "تُعجِبُنـي فِراسَـةُ تِلكَ الفَتاةِ!".

وَصاحَ شَبَحُ امرَأَةٍ ما: "إنَّها وَقِحَةٌ قَليلًا، وَلكِنَّها بِالتَّأكيدِ شُجاعَةٌ".

"فِراسَـةٌ! مـاذا تَعْنـي هـذِهِ الكَلِمَـةُ؟"، سَـأَلَتْ مَنـالُ سـارَةَ. وَلكِـنَّ سـارَةَ لَـم تُـجِبْ عَلـى الفَـورِ، فَقَـد كانَـتْ مَأخـوذَةً بِهـا، وَكَأَنَّهـا تَراهـا لِأَوَّلِ مَـرَّةٍ، وَقَـد كانَـتْ بِالفِعـلِ كَذلِـكَ؛ فَلَطالَـما نَظَـرَتْ سـارَةُ إلَيهـا عَلـى أَنَّهـا إحْـدى تِلـكَ الفَتَيـاتِ السَّـطحِيّاتِ السَّـخيفاتِ اللَّواتـي يُضايِقنَهـا وَحَسْـبُ، لَـم تَلحَـظْ أَبَدًا مِنها هذا الجانِبَ الشُّجاعَ الـمُنفَتِحَ وَالسَّريعَ البَديهَةِ...

لَقَد كانَتْ تَـحسِدُها إلى حَدٍّ ما، فَرَدَّتْ عَلَيها ضاحِكَةً:

"هـا هـا... لا عَليـكِ! النّـاسُ هُنـا ماتـوا فـي أَزمِنَـةٍ مُـختَلِفَةٍ، وَبَعضُهُـم يَستَخدِمُ لُغاتٍ وَمُصطَلَحاتٍ لا أَقْوى حَتّى عَلى فَهمِها وَإنْ حاوَلتُ"

وَمِـن بَيـنِ الـجَمْعِ مِـن حَولِـهِما، كانَـتْ تُشاهِدُهُما هَناءُ، وَهُما تُثَرْثِـرانِ مَعَ بَعضِهِمـا البَعـضِ، وَتَتَعَرّفـانِ عَلـى الأَشباحِ سَـريعًا قَبـلَ أَن يَبـدَأَ طابـورُ الصَّباحِ. وَلَـم تَعلَـمْ لِـماذا! لكِنَّها شَعَرَتْ بِشَـيءٍ غَريـبٍ، فَمِـنَ الصَّعبِ عَلى شَـبَحٍ أَن يَشـعُرَ بِشَـيءٍ غَيـرِ الغَضَـبِ وَالـحُزنِ، وَلكِـنَّ صـورَةَ تِلـكَ الفَتاتَيـنِ تُثَرْثِـرانِ، وَهُمـا لا تَعلَمـانِ أَنَّهُمـا قَـد تَكونـانِ عَلـى وَشْـكِ بَـدْءِ صَداقَـةٍ وَطيدَةٍ لِسِنينَ قادِمَةٍ، أَشعَرَتْها بِـ... الـحَنينِ!

"كَيفَ تنشأُ صَداقَةٌ غَيرُ اعتِياديَّةٍ؟"

"إذَنْ، أَستَنتِجُ مِن تِلكَ الابتِسامَةِ أَنَّ كُلَّ شَيءٍ سارَ عَلى ما يُرامُ؟". سَأَلَ حَمدي ابنَتَهُ سارَةَ فَورَ دُخولِها البَيتَ.

- بَل أَفضَلُ!

- حَقًّا؟

- نَعَم!

بَدا عَلى حَمدي الارتِياحُ، وَهُوَ يُراقِبُ ابنَتَهُ تَدخُلُ غُرفَتَها. لا يَعلَمُ ما الَّذي حَدَثَ، وَلكِنْ، إنْ كانَتْ فَرِحَةً إلى هذا الحَدِّ، فَلا بُدَّ أَنَّهُ كانَ يَومًا جَيِّدًا، وَقَد كانَ! في الغُرفَةِ، ظَلَّتْ سارَةُ تَتَغَنّى بِأُغنِيَةٍ ما عالِقَةٍ في ذِهنِها، وَهِيَ تَتَخَيَّلُ يَومَ الغَدِ؛ فَقَدِ اتَّفَقَتْ هِيَ وَمَنالُ أَن تَتَقابَلا مُجَدَّدًا في وَقتٍ مُبَكِّرٍ قَبلَ بَدْءِ اليَومِ الدِّراسيِّ في المَدرَسَةِ، وَلَم تُصَدِّقْ أَنَّها أَخيرًا أَصبَحَ لَدَيْها صَديقَةٌ مِن لَحمٍ وَدَمٍ، لِأَوَّلِ مَرَّةٍ بَعدَ كُلِّ تِلكَ السِّنينَ... سَتَكونُ نِهايَةُ هذا العامِ الدِّراسيِّ الأَفضَلَ عَلى الإطلاقِ!

"حَنانُ، رَجاءً أَخبِري البَقيَّةَ أَلّا يَأتينَ إلى غُرفَتي اللَّيلَةَ، فَأَظُنُّ أَنّي أَخيرًا في مِزاجٍ جَيِّدٍ بِما يَكْفي لِأَستَذكِرَ وَحْدي دونَ تَشتيتٍ"، أَمَرَتْ سارَةُ شَبَحَ مُراهِقَةٍ في مِثلِ سِنِّها، كانَتْ ذاتَ ضَفائِرَ، تَرتَدي فُستانًا يَعودُ إلى حِقبَةِ الثَّمانينيّاتِ تُلَطِّخُهُ الدِّماءُ، فَاستَجابَتِ المُراهِقَةُ، وَاختَفَتْ في الجُدرانِ

عادَتْ سارَةُ مُستَغرِقَةً في تَفكيرِها: "لا بُدَّ أَنَّ مَنالَ تُخبِرُ صَديقاتِها الآنَ أَنَّها حينَ ذَهَبَتْ لاحِقًا لِتَطمَئِنَّ أَنَّ أَحَدًا لَم يَسمَعْ صُراخَها، وَيَفتَحِ البابَ... سَمِعَتْها تَبكي وَحيدَةً في الغُرفَةِ، فَغادَرَتْ واثِقَةً مِن أَنَّها لا تَزالُ مَحبوسَةً، وَلكِنْ، غَدًا عِندَما يَفتَحْنَ البابَ، فَلا يَجِدْنَها، سَتَدَّعي مَنالُ أَنَّها لا تَعلَمُ كَيفَ حَدَثَ هذا! وَسَتَتَظاهَرُ أَنَّ صَوتَ البُكاءِ بَدا غَريبًا، وَكَأَنَّهُ لِطِفلَةٍ أُخرى، ثُمَّ..." ، كَفَّتْ عَنِ التَّخَيُّلِ، وَقَرَّرَتْ أَن تَترُكَ أَحداثَ الغَدِ إلى الغَدِ...

وَعِندَما حانَ الغَدُ، دَوّتْ صَرَخاتُ سارَةَ: "آاااااااااا" مِن أَحَدِ أركانِ الفُصولِ المُجاوِرَةِ المُظلِمَةِ، فارْتاعَتِ الفَتَياتُ وَصَرَخْنَ، ثُمَّ وَجَدْنَ بابَ الغُرفَةِ يَندَفِعُ مُغلَقًا في وُجوهِهِنَّ، فَانفَجَرْنَ في الصُّراخِ، وَمَنالُ مَعَهُنَّ وَانطَلَقْنَ يَجْرينَ عَلى السَّلالِمِ، نَحوَ فِناءِ المَدرَسَةِ.

لَم تَستَطِعْ مَنالُ أَن تَكُفَّ عَنِ الضِّحكِ، وَهِيَ تَتَذَكَّرُ الأَحداثَ مَعَ سارَةَ وَهَناءَ لاحِقًا في غُرفَةِ التَّربِيَةِ الفَنِّيَّةِ بَعدَ انتِهاءِ اليَومِ الدِّراسيِّ.

"وَلكِنَّكِ حَقًّا داهِيَةٌ! كَيفَ استَطَعتِ أَن تَصرُخي بِهذا الشَّكلِ المُقنِعِ؟... لَقَد ظَنَنتُكِ خائِفَةً بِالفِعلِ!"، سَأَلَتْ هَناءُ مَنالَ، فَتَمالَكَتْ نَفسَها مِنَ الضِّحكِ، وَرَدَّتْ عَلَيها بِسُؤالٍ هِيَ الأُخرى: "وَماذا عَنكِ أَنتِ؟... كَيفَ استَطَعتِ أَن تُحَرِّكي البابَ هكَذا عَلى أَيَّةِ حالٍ؟ أَلَم تَقولي: إِنَّ الأَشباحَ لا يَستَطيعونَ أَن يُؤَثِّروا في العالَمِ الخارِجيِّ؟!".

أَجابَتْها سارَةُ: "أَغلَبُ الأَشباحِ لا يَستَطيعونَ فِعلَ ذلِكَ، وَلكِنَّ هَناءَ وَبَعضَ الأَشباحِ الآخَرينَ حالَتُهُم مُختَلِفَةٌ؛ فَهُم يَستَطيعونَ أَن يُحَرِّكوا الأَشياءَ إذا شَعَروا بِالغَضَبِ أَوِ الحُزنِ الشَّديدِ

وَمِنَ الواضِحِ أَنَّ صَديقاتِكِ كُنَّ كافِياتٍ لِإغضابِها بِهذا القَدْرِ".

- وَلكِنْ، إنَ كانَ هـذا صَحيحًـا، فَلِمَ لَـم تَفعَـلْ شَـيئًا مِـن قَبـلُ عِندَمـا كُنّا نُضايِقُكِ؟

- لِأَنَّني أَخبَرتُها أَلّا تَفعَلَ.

- لِماذا؟

- لِأَنَّني لا أُريدُ أَن أَظهَرَ غَريبَةَ الأَطوارِ أَكثَرَ مِن ذلِكَ.

شَـعَرَتْ مَنـالُ بِالذَّنـبِ حيـنَ فَكَّـرَتْ فـي أَنَّ تِلـكَ الفَتـاةَ كانَـتْ مُسـتَعِدَّةً لِأَنْ تُـمضِيَ اللَّيلَـةَ فـي غُرفَـةٍ مُغلَقَـةٍ مَـعَ شَـبَحِ فَتـاةٍ مَيِّتَـةٍ، حَتّـى لا تَظهَـرَ غَريبَـةً وَغَيرَ طَبيعيَّةٍ، كَما حاوَلَتْ أَن تُظهِرَها هِيَ وَصَديقاتُها طَوالَ الوَقتِ.

قالَـتْ سـارَةُ لِـمَنالَ مُبتَسِـمَةً ابتِسـامَتَها الواسِـعَةَ السـاذِجَةَ: "وَلكِـنْ، الآنَ لا أُبالي، فَأَنا عَلى الأَقَلِّ غَريبَةُ الأَطوارِ مَعَكِ!".

- لا.

- ماذا؟

- أَنا لَـم أُصبِحْ غَريبَةَ الأَطوارِ مِثلَكِ.

- ...

- لَطالَـما رَغِبتُ بِذلِـكَ، لَطالَـما أَحبَبْتُ الرُّعبَ، وَتَـمَنَّيتُ أَن أُقابِلَ ظَواهِـرَ غَيـرَ طَبيعيَّـةٍ... وَلِـهذا السَّـبَبِ، انضَمَمـتُ إلـى شِـلَّةِ عَبيـرَ، حَتّـى أَسـتَطيعَ أَن أَتَأَقْلَـمَ، وَلا أَتَعَـرَّضَ لِلمُضايَقَـةِ أَنـا نَفْسـي، وَلكِـنْ، إنْ سَـأَلْتِني، فَـإِنَّ غَرابَـةَ الأَطـوارِ هِـيَ مـا اختَـرتُ أَن أَفعَلَـهُ أَنـا، أَن أَعيـشَ حَيـاةً لَيسَـتْ حَياتـي، أَمّا ما فَعَلتِهِ أَنتِ، فَهُوَ الطَّبيعيُّ، فَأَنتِ اختَرتِ فَقَط أَن تَكوني أَنتِ".

صَمَتَـتْ سـارَةُ قَليـلًا، ثُـمَّ ابتَسَـمَتِ ابتِسـامَةً خَفيفَـةً هـذِهِ الـمَرَّةَ، وَأَمسَـكَتْ يَدَ مَنالَ، وَأَخبَرَتْها أَن تَأتِـيَ مَعَها لِتُرِيَها شَيئًا.

خَرَجَـتِ الفَتاتـانِ إلـى فِنـاءِ الـمَدرَسَةِ، وَكانَـتِ الشَّـمسُ فـي السَّـماءِ تَغرُبُ وَالغُيومُ تُـخَبِّئُها، فَكادَ ضَوءُها يَستَحيلُ إلى ظُلمَةِ اللَّيلِ مُبَكِّرًا.

"حيـنَ أَشـعُرُ أَنَّنـي غَريبَـةُ الأَطـوارِ، وَلا أَنتَمـي إلـى هـذا العالَـمِ، وَلا يَكـونُ أَبـي بِجانِبـي، كَـي يُذَكِّرَنـي بِعَكـسِ ذلِـكَ، أَجلِـسُ هُنـا، وَأَنتَظِـرُ أَن أَرى مـا سَتَرَيْنَهُ الآنَ"

قالَتْ سارَةُ حينَ أخفَتْ غيمَةٌ داكِنَةٌ ضَوءَ الشَّمسِ، فَاتَّسَعَتْ عَيْنا مَنالَ وَهِيَ تَرى أَشباحَ حيتانٍ وَمَخلوقاتٍ قَد تَعودُ إلى العَصرِ الحَجَريِّ تُضيءُ صورَتُها الشَّفّافَةُ في ظُلمَةِ اللَّيلِ، وَتَسبَحُ في السَّماءِ مِن حَولِهِما.

"الحَيَواناتُ أَيضًا لَدَيها أَشباحٌ أَحيانًا، وَلكِنَّها أَقَلُّ تَشَبُّثًا بِفيزياءِ عالَمِنا فَتَسبَحُ في الفَضاءِ، وَلا تَظهَرُ في الضَّوءِ، بَل في الظَّلامِ".

ظَلَّتْ مَنالُ تَتَلفَّتُ، وَتَنظُرُ حَولَها إلى المَنظَرِ البَديعِ غَيرَ مُصَدِّقَةٍ، ثُمَّ استَقَرَّتْ عَيْناها عَلى سارَةَ، وَاعتَرَفَتْ: "هذا أَجمَلُ شَيءٍ رَأَيتُهُ في حَياتي!".

ابتَسَمَتْ سارَةُ ابتِسامَتَها الواسِعَةَ مُجَدَّدًا، وَجَلَسَتِ الفَتاتانِ عَلى الأَرضِ تُراقِبانِ المَنظَرَ، وَلَم تَلحَظا وَراءَهُما هَناءَ، تُراقِبُهُما عَبرَ نافِذَةِ أَحَدِ الفُصولِ بِنَظرَةٍ حَزينَةٍ عابِسَةٍ، وَقَد أَصبَحَتْ شَفّافَةً أَكثَرَ فَأَكثَرَ.

"اليَومُ الدِّراسيُّ الَّذي غَيَّرَ كُلَّ شَيءٍ"

"أَيَّتُها الـمُشعوذَةُ!"... صَرَخَتْ عَبيرُ فَورَ أَن لَـمَحَتْ سارَةَ، وَهِـيَ تدخُلُ الفَصلَ، صَباحَ اليَومِ التّالي مَعَ صَديقاتِها.

"أَلا تَأتونَ فُرادى أَبَدًا؟"... سَخِرَتْ سارَةُ قَبلَ أَن تَتَقَدَّمَ عَبيرُ، وَتَشُدَّها مِن رَبطَةِ عُنُقِها، وَتَصرُخَ في وَجهِها: "كَيفَ فَعَلتِها؟؟ ها؟ أَهُوَ سِحرٌ أَسوَدُ؟؟ أَم خُدعَةٌ سَخيفَةٌ مِثلُكِ؟؟".

- كَيفَ فَعَلتُ ماذا؟

- لا تَتَحاذَقي مَعي، أَنتِ تَعلَمينَ ما أَقصِدُ! ما الّذي جَرى في غُرفَةِ التَّربِيَةِ الفَنِّيَّةِ البارِحَةَ؟؟

- نَعَم، شُكرًا بِالـمُناسَبَةِ، عَلى تَرْكي هُناكَ مَعَ شَبَحِ فَتاةٍ صَغـ...

- لَيسَ هُناكَ شَبَحٌ! كُفّي عَنِ الـهُراءِ، فَأَنا أَعلَـ...

"هـذا يَكْفـي!" فَجأَةً، قاطَعَ عَبيرَ صَوتٌ مَألـوفٌ، فَالتَفَتَـتْ لِتَـرى مَنـالَ تَقِفُ خَلفَها غاضِبَةً، تَقبِضُ يَدَيْها، وَكَأَنَّها تُحاوِلُ أَن تَـمنَعَ نَفسَها مِنَ التَّدَخُّلِ أَكثَرَ مِن ذلِكَ.

سَأَلَتْها عَبيرُ مَصدومَةً: "يَكْفي! ماذا تَقصِدينَ؟ أَتُدافِعينَ عَنها؟!"

وَلكِنَّ مَنالَ لَـم تَهتَـمَّ هـذِهِ الـمَرَّةَ، وَتَقَدَّمَتْ، وَأَمسَكَتْ يَدَ سارَةَ، وَسَحَبَتْها مَعَها إلى خارِجِ الفَصلِ في ذُهولٍ مِن عَبيرَ وَصَديقَتَيها الأُخرَيَيْنِ.

صَرَخَـتْ وَراءَهـا عَبيـرُ دونَ جَـدْوى: "مَنـالُ! مـا الـخَطْبُ؟؟ أَسَحَرَتْكِ تِلكَ الـمُشَعوِذَةُ؟؟ مَتـى حَـدَثَ هـذا؟!"، لَـم تَعلَـمْ عَبيـرُ أَنَّ تِلـكَ لَيسَـتْ مَنـالَ الَّتـي اعتـادَتْ أَن تُطيعَهـا، وَتَتبَعَهـا فـي كُلِّ فِعـلٍ، بَـل مَنـالُ الَّتـي أَخفَـتْ نَفسَـها فـي ظِلِّهـا سَنينَ، حَتّـى لا تَظهَـرَ لِأَيِّ أَحَـدٍ، وَلا تَـخضَعَ لِأَحكامِ أَحَدٍ... مَنالُ الشُّجاعَةُ الـمِقدامَةُ الـمُندَفِعَةُ وَالـمُتَهَوِّرَةُ أَحيانًا... مَنالُ الـحَقيقيَّةُ.

قالَـتْ مَنالُ مُتَوَتِّـرَةً عِندَمـا شَـعَرَتْ أَنَّهُـما ابتَعَدَتا بِمـا يَكْفـي، وَكَأَنَّهـا تَعلَـمُ أَنَّ مـا فَعَلَتْـهُ لِلتَّـوِّ سَـيُكَلِّفُها كُلَّ شَـيءٍ: "آسِـفَةٌ عَلـى مـا حَصَـلَ، سَـأُحاوِلُ أَلّا يَـحدُثَ الـمَزيدُ مِنهُ حَتّى نِهايَةِ العامِ".

- لا، لا تَقلَقـي!... حَقًّـا، سَـأَكونُ بِخَيـرٍ، فَقَـدِ اعتَـدتُ ذلِـكَ، ارجِعـي إِلَيهِـنَّ وَقولي إِنَّكِ فَقَط كُنتِ تَـمزَحينَ، أَو إِنَّكِ تَعِبتِ قَليلًا اليَومَ.

- لا! سارَةُ، أَنا لَم أَفعَلْ ذلِكَ مِن أَجلِكِ فَقَط، بَل مِن أَجْلي أَنا أَيضًا...
سَيَنتَهي كُلُّ هذا قَريبًا عَلى أَيَّةِ حالٍ.
- أَنا أَعلَمُ أَنَّ نِهايَةَ العامِ اقتَرَبَتْ، وَلكِنْ، أَأَنتِ مُتَأَكِّدَةٌ مِن هذا القَرارِ؟
ضَحِكَتْ مَنالُ ضِحكَةً شابَها الحُزنُ، ثُمَّ أَجابَتْ: "نَعَم... أَنا مُستَعِدَّةٌ لِنِهايَةِ العامِ". سادَتْ لَحظَةُ صَمتٍ غَيرِ مُريحٍ لِبِضعِ ثَوانٍ، قَبلَ أَن تَسأَلَ سارَةُ: "إِذَنْ، فَهَل نَعودُ إِلى الفَصلِ الآنَ، أَم ما...؟".
قاطَعَتْ مَنالُ سُؤالَها بِسُؤالٍ آخَرَ فَجأَةً: "أَتُريدينَ الاختِباءَ في غُرفَةِ التَّربِيَةِ الفَنِّيَّةِ بقِيَّةَ اليَومِ الدِّراسيِّ؟؟"، فَابتَسَمَتْ سارَةُ، وَوافَقَتْ.
بَينَما الفَتاتانِ تُدَردِشانِ. ظَهَرَتْ هَناءُ فَجأَةً مِن إِحدى زَوايا الغُرفَةِ الـمُظلِمَةِ: "لَقَد عُدتُما!".
"هَناءُ، أَهلًا! تَعالَي انضَمّي إِلَينا، لَقَد كُنّا نَتَحَدَّثُ لِلتَّوِّ عَن خُطَطِنا لِشَنِّ حَربٍ ضِدَّ عَبيرَ وَالفَتَياتِ، وَنَحتاجُ إِلى قُدُراتِكِ".
لَم تَرُدَّ هَناءُ عَلى سارَةَ وَنَبرَتِها الـمُتَحَمِّسَةِ سِوى بِالصَّمتِ وَوَجْهٍ عابِسٍ يَبْدو عَلَيهِ شَيءٌ مُختَلِفٌ، مُوَجِّهَةً نَظَراتِها إِلى الأَرضِ.

"هَنـاءُ... مـاذا يَـحدُثُ؟"، سَـأَلَتْها مَنـالُ، وَهُنـا فَقَـط، رَفَعَـتْ هَنـاءُ نَظَرَهـا إلى الفَتاتَينِ.

سارَةُ: "ماذا تَقصِدينَ؟ هَناءُ، أَهُناكَ خَطْبٌ ما؟".

مَنـالُ: "أَلَـم تُلاحِظـي؟ لَقَـد كُنـتُ مُتَشَـكِّكَةً مِـن قَبـلُ، وَلكِـنْ، فـي هـذِهِ الـمَرَّةِ أَنا مُتَأَكِّدَةٌ أَنَّ صورَتَها تَزدادُ شَفافِيَةً في كُلِّ مَرَّةٍ نُقابِلُها!".

سـارَةُ: "مـاذا؟"... نَظَـرَتْ سـارَةُ إلـى هَنـاءَ الَّتـي لَـم يَتَغَيَّـرْ تَعبيـرُ وَجهِهـا بَتاتًـا، فَلاحَظَـتْ أَنَّ أَشِـعَّةَ الشَّـمسِ الضَّعيفَـةَ القادِمَـةَ عَبـرَ النّافِـذَةِ تَتَخَلَّـلُ صورَتَها بِشِدَّةٍ، وَكَأَنَّها لَيسَتْ هُناكَ.

سَـأَلَتْها سـارَةُ قَلِقَـةً فَجـأَةً: "هَنـاءُ، مـاذا يَعْنـي هـذا؟ أَأَنـتَ بِخَيـرٍ؟ مـاذا يَحدُثُ لَكِ؟؟".

"أَتَعلَميـنَ يـا سـارَةُ! أَنـا أَبْـدو فـي الثّانِيَـةَ عَشْـرَةَ مِـن عُمْـري، وَلكِنّـي فـي الـحَقيقَةِ سَـيِّدَةٌ ناضِجَـةٌ أُقـارِبُ الخامِسَـةَ وَالعِشـرينَ الآنَ، وَخِلالَ الثَّلاثَـةَ عَشَـرَ عامًـا الفائِتَـةَ، وَحَتّـى هـذِهِ اللَّحظَـةِ لَـم يَسـأَلْني أَحَـدٌ عَمّـا يَـحدُثُ لي أَو كَيفَ حالي!... وَلا حَتّى أَنتِ"، قالَتْ هَناءُ بِنَبرَةِ عِتابٍ واضِحَةٍ باغَتَتْ سارَةَ الَّتي صَمَتَتْ، وَلَـم تَستَطِعِ الرَّدَّ.

"لَـم يَهتَمَّ أَحَدٌ أَبَدًا بي حَقًّا سِواها!".

سَـأَلَتْها مَنـالُ: مَـنْ تَقصِـدُ؟ فَبَـدَتْ هَنـاءُ، وَكَأَنَّهـا تَسـتَجمِعُ نَفسَـها قَبـلَ أَن تَسـرُدَ: "هُنـاكَ سَـبَبٌ أَنَّنـي أَنـا وَبِضعَـةَ أَشـباحٍ فَقَـط، نَسـتَطيعُ أَن نُحَـرِّكَ الأَشـياءَ... هـذا لِأَنَّ مَشـاعِرَنا قَويَّـةٌ، أَقْـوى بِكَثيـرٍ مِـن غَيرِنـا مِـنَ الأَشباحِ مُنذُ لَـحظَةِ مَوتِنا، أَو لِأَكونَ أَدَقَّ... لَـحظَةَ قَتْلِنا".

"أَنـتِ قُتِلـتِ؟"، سَـأَلَتْ سـارَةُ مُندَهِشَـةً، فَنَظَـرَتْ هَنـاءُ نَحوَهـا بِغَضَـبٍ. وَدونَ أَن تَنطِـقَ، فَهِمَـتْ سـارَةُ مـا تَعْنيـهِ تِلـكَ النَّظـرَةُ... لَقَـد عَرَفَـتْ هَنـاءَ لِسِنينَ، وَلَـم تُفَكِّرْ وَلَو لِـمَرَّةٍ أَن تَسأَلَـها؛ كَيفَ ماتَتْ!...

- لا أَحَـدَ مُتَأَكِّـدٌ حَقًّـا، لِـماذا تُعَلَّـقُ أَرواحٌ دونَ أُخـرى بَعـدَ مَوتِهـا، وَلا أَحَـدَ يَدَّعـي عِلـمَ الغَيـبِ، لكِنَّنـا نَعلَـمُ أَنَّ مَـن تَـمَّ قَتلُهُـم ظُلمًـا أَو خِيانَتُهُـم قَبـلَ مَوتِهِـم، يَظَلّـونَ بِمَشـاعِرِ حِقـدٍ وَغَضَـبٍ قَوِيَّـةٍ بَعـدَ الـمَوتِ، تَـحتَرِقُ بِداخِلِهِـم، فَتُعطيهِـم قُـوَّةً لِلتَّأثيـرِ فـي العالَـمِ مِن حَولِـهِم، قُـوَّةً مُتَناسِبَةً مَعَ شِدَّةِ مَشاعِرِهِم تِلكَ.

حينَ مُتُّ كُنتُ أَقْوى بِكَثيرٍ، أَكثَرَ غَضَبًا وَحِقدًا عَلى الأَحياءِ الَّذينَ يَنعَمونَ بِما كُنتُ أَظُنُّ أَنَّني أَستَحِقُّهُ وَأُقَدِّرُهُ أَكثَرَ مِن أَغلَبِهِم، وَهكَذا بَدَأتُ أُرَوِّعُهُم، لِهذا السَّبَبِ، لَم يَقرَبْ أَحَدٌ هذا الدَّورَ بِأَكمَلِهِ لِمُدَّةِ سِنينَ.

نَظَرَتْ هَناءُ إِلى سُلَّمٍ مُستَنِدٍ عَلى أَحَدِ الجُدرانِ، غَطَّتْهُ الأَترِبَةُ وَالصَّدأُ وَأَشارَتْ إِلَيهِ، ثُمَّ أَكمَلَتْ: "عِندَما كُنتُ هُنا آخِرَ مَرَّةٍ، كُنتُ مَعَ صَديقَتي المُقَرَّبَةِ نَلْهو، وَكُنتُ أَقِفُ عَلى هذا السُّلَّمِ، فَبَدَأَتْ تَهُزُّهُ، أَخبَرتُها أَن تَتَوَقَّفَ، وَلكِنَّها لَم تَفعَلْ، فَوَقَعتُ، وَاصطَدَمَ رَأْسي بِالجِدارِ، وَبَدأتُ أَنزِفُ... لَرُبَّما كانَ مِنَ المُمكِنِ إِسْعافي لَو تَمَّ طَلَبُ الإِسعافِ بِسُرعَةٍ وَلكِنَّها خافَتْ، فَقَد كانَتْ مُجَرَّدَ طِفلَةٍ... لَم أَتَفَهَّمْ هذا حَتّى الآنَ!".

الْتَفَتَتْ هَناءُ نَحوَ الفَتاتَينِ بِعُيونٍ دامِعَةٍ، وَاستَطرَدَتْ: "عِندَما شاهَدتُكُما بَدَأتُ أَتَذَكَّرُ هذا، لَقَد كُنّا أَطفالًا، لَيسَ إِلّا، وَكانَتْ هذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ في حَياتِها تُواجِهُ مَوقِفًا كَهذا... لا بُدَّ أَنَّها لامَتْ نَفسَها مِرارًا وَتَكْرارًا مُنذُ ذلِكَ اليَومِ، رَغمَ صَمتِها".

بَدَأَتْ هَناءُ تَتَلاشى أَكثَرَ شَيئًا فَشَيئًا، وَنَظَرَتْ إلى الشُّبّاكِ، ثُمَّ إلى سارَةَ وَمَنالَ مَرَّةً أَخيرَةً، وَقالَتْ وَالدُّموعُ تَندَفِعُ مِن عَينَيْها الشَّفّافَتَينِ كَاللَّآلِئِ اللّامِعَةِ وَسَطَ الظَّلامِ: "شُكرًا لَكُما، بِسَبَبِكُما لا شَيءَ يُقَيِّدُني أَخيرًا لِكَيْ أَظَلَّ في هذا العالَمِ... أَنا مُستَعِدَّةٌ لِلرَّحيلِ الآنَ".

"لا، هَناءُ... انتَظِري!"، صَرَخَتْ سارَةُ، وَهِيَ تَقفِزُ نَحوَها، وَلكِنَّ صورَةَ هَناءَ كانَتْ قَدِ اختَفَتْ تَمامًا. سَقَطَتْ دُموعُ سارَةَ تِلقائِيًّا رَغمًا عَنها لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مُنذُ زَمَنٍ طَويلٍ، وَلكِنَّها لَم تَتَوَقَّعْ أَن تَلتَفِتَ، فَتَجِدَ مَنالَ تُجهِشُ بِالبُكاءِ، وَالدُّموعُ لا تَتَوَقَّفُ عَنِ السُّقوطِ مِن عَينَيْها، وَأَنفُها يَسيلُ... لَقَد بَدَتْ مُثيرَةً لِلشَّفَقَةِ تَمامًا، وَكَأَنَّها قَد شَهِدَتْ مَوتَ أُمِّها لِلتَّوِّ، وَلَيسَ شَبَحَ فَتاةٍ لَم تَعرِفْها سِوى لِيَومَينِ.

مَسَحَتْ سارَةُ دُموعَها، وَاتَّجَهَتْ نَحوَ مَنالَ وَاحتَضَنَتْها، وَحاوَلَتْ أَن تَتَذَكَّرَ ما كانَتْ تَفعَلُهُ أُمُّها عِندَما تَبْكي، حَتّى تَهدَأَ، فَشَعَرَتْ بِروحِها في داخِلِها تَغسِلُ أَحزانَها بِشَكلٍ مُؤَقَّتٍ، حَتّى تَقْوى عَلى الثَّباتِ في هذِهِ اللَّحظَةِ.

- لا عَلَيكِ، أَنتِ بِخَيرٍ... كُلُّ شَيءٍ سَيَكونُ عَلى ما يُرامُ.

- لَستُ مُستَعِدَّةً... ماذا لَوْ لَم أَكُنْ مُستَعِدَّةً بَعدُ؟! لَيسَ عَدْلًا! ما زالَ هُناكَ الكَثيرُ لِأَمُرَّ بِهِ!

- مَنالُ، ماذا تَقصِدينَ؟

- لَستُ مُستَعِدَّةً! ما زالَ هُناكَ الكَثيرُ لَم أَفعَلْهُ! هُناكَ الكَثيرُ مِمَّنْ لَم أَقضِ مَعَهُم وَقتًا كافِيًا، اليَومَ فَقَط بَدَأتُ أَشعُرُ أَنَّني مَعَكِ حَقًّا... لا أُريدُ أَن أَموتَ!

أَمسَكَتْ سارَةُ مَنالَ مِن كَتِفَيْها، وَنَظَرَتْ إلَيها بِمُنتَهى الجِدِّيَّةِ، وَسَأَلَتْها: "مَنالُ! أَخبِريني، ماذا تَقصِدينَ؟ ما الَّذي تُخفينَهُ عَنّي؟".
هَدَأَتْ مَنالُ قَليلًا، وَنَظَرَتْ نَحوَ سارَةَ مُستَسلِمَةً، ثُمَّ أَجابَتْ...

"الأَيّامُ التّاليَةُ"

فـي الأَيّـامِ التّاليَـةِ، لَـم تَعُـدْ مَنالُ وَحدَها سِـرًّا إلـى الـمُستَشفى، بَعـدَ انتهاءِ كُلِّ يَـومٍ دِراسـيٍّ، صَحِبَتْها سـارَةُ فـي كُلِّ مَـرَّةٍ، وَإنْ لَـم تُـرِدْ، وَكانَـتْ تَستَذكِرُ دُروسَـها مَعَها، حَتّـى يَأتِـيَ والِدُهـا حَمـدي لَـيلًا بِسَـيّارَتِهِ، لِيَعـودَ بِهـا إلـى البَيـتِ. وَفـي كُلِّ مَـرَّةٍ، كانَ يَتَأَكَّـدُ مِـن أَن يَسأَلَـها عَـن صاحِبَتِهـا، وَعَمّا تَشعُرُ بِـهِ، وَإنْ كانَـتْ بِخَيـرٍ!... أَحيانًـا كانَـتْ تُـجيبُ نَعَـم بِابتِسـامَةٍ، وَلكِـنْ، فـي اللَّيالـي الصَّعبَـةِ، كانَـتْ تَبْكـي وَتُلْقـي بِنَفسِـها بَيـنَ ذِراعَيـهِ، تُـخَبِّئُ دُموعَـها فـي صَدرِهِ... لَـم يَكُـنِ الأَمرُ سَهلًا أَبَدًا.

وَمَـعَ الوَقـتِ، سـاءَتِ الأُمـورُ، وَلَـم تَستَطِعْ مَنالُ أَن تُغـادِرَ الـمَشْفى أَصلًا وَلكِـنَّ هـذا لَـم يَمنَـعْ زِيـاراتِ سـارَةَ أَبَـدًا، لَـم يَمُـرَّ يَـومٌ دونَ أَن تَأتِـيَ لِتَطمَئِنَّ عَلَيها، وَفي بَعضِ الأَحيانِ، لَم تَكُنْ تَأتي وَحدَها.

كانَـتْ عَبيـرُ تُـحاوِلُ أَن تَـمنَعَ نَفسَـها مِـنَ البُـكاءِ، عِنـدَما قابَلَـتْ صَديقَتَها فـي الـمُستَشفى أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَانتابَها إحساسٌ بَشِعٌ بالذَّنبِ، لأَنَّها انتَظَرَتْ كُلَّ تِلـكَ الـمُدَّةِ كَـي تَأتِـيَ، وَلكِنَّهـا لَم تَمتَلِكِ الشَّجاعَةَ لِسَبَبٍ مـا. طَلَبَتْ مِن صَديقاتِها أَن يَأْتيـنَ مَعَهـا، وَلكِنَّهُـنَّ ادَّعَيْـنَ الانشِغالَ... لَـم يَكُـنْ لَدَيْها خِيارٌ سِـوى أَن تَطلُـبَ مِـن سـارَةَ، وَكانَـتْ خائِفَـةً مِـن أَن تَرفُـضَ وَتُحرِجَهـا، وَلكِـنْ كَالعادَةِ، رَدَّتْ عَلَيها سارَةُ بِابتِسامَةٍ ساذَجَةٍ واسِعَةٍ، وَوافَقَتْ عَلى الفَورِ.

كُلُّ هـذا كانَ يَمُـرُّ خِلالَ رَأسِها، وَهِـيَ تُسَـلِّمُ عَلـى صَديقَتِهـا، وَتَعتَـذِرُ لَـها عَـن آخِـرِ شِـجارٍ بَينَهُمـا. أَحَسَّـتْ أَنَّهـا قَـد أَخفَقَـتْ تَـمامًا فـي إيصـالِ اعتِذارِهـا، وَلكِـنَّ مَنـالَ رَحَّبَـتْ بِهـا، وَلَـم تَبْـدُ غاضِبَـةً مِنها... لَـم يَكُـنْ أَحَدٌ لِيَهتَـمَّ بِها مِثلَ مَنـالَ بَعـدَ كُلِّ شَـيءٍ، فَمَـعَ أَنَّ مَنالَ لَـم تَكُـنِ الأَكثَـرَ صَراحَةً مَعَها، إلّا أَنَّ عَبيرَ كانَتْ دائمًا صَريـحَةً مَعَها، وَلَـم تُـخْفِ ضَعفَها عَنها.

"أَنـا لا أُصَـدِّقُ أَنَّنـي أَقـولُ هـذا، وَلكِـنْ... أَنـا آسِـفَةٌ لَـكِ أَيضًـا"، وَجَّهَـتْ عَبيـرُ كَلامَهـا لِسـارَةَ، الَّتـي لَـم تَتَوَقَّـعْ ذلِـكَ أَبَـدًا، فَأَجفَلَـتْ وَهلَـةً قَبـلَ أَن تَـرُدَّ عَلَيهـا مُبتَسِـمَةً: "لا عَلَيـكِ، لَيـسَ ذَنبُـكِ أَنَّ ذَوقَـكِ فـي الموضَـةِ مُبالَـغٌ فيـهِ إلـى هـذا الـحَدِّ... آه، تَقصِديـنَ عَلـى مُضايَقَتـي؟ لا، لَقَـد نَسـيتُ هـذا الأَمـرَ بِالفِعلِ، فَلا عَلَيكِ... حَقًّا".

نَظَرَتْ عَبيرُ إلى مَلابِسِها فَجأَةً، وَكَأَنَّها تُلاحِظُها لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، ثُمَّ نَظَرَتْ إلى سارَةَ في غَيظٍ، وَلكِنْ، سُرعانَ ما تَحَوَّلَتْ مَلامِحُها إلى ابتِسامَةٍ وَانفَجَرَتْ ضاحِكَةً.

"يَجِبُ أَن أَعتَرِفَ... عِدَّةَ مَرّاتٍ اضطُرِرتُ أَن أَمنَعَ نَفْسي عَنِ الضِّحكِ عِندَما كُنتِ تَسخَرينَ مِنّي طَوالَ تِلكَ السِّنينَ، أَنتِ مُهَرِّجَةٌ جَيِّدَةٌ"، رَدَّتْ عَلَيها عَبيرُ، ثُمَّ احتَضَنَتْ مَنالَ، وَهَمَسَتْ في أُذُنِها تَمَنِّياتِها بِالتَّعافي وَوَدَّعَتْها، وَتَرَكَتْها مَعَ سارَةَ وَحدَهُما.

"لَم أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّها سَتَأتي"... قالَتْ مَنالُ.

- وَلا أَنا، لِأَصْدُقَكِ القَولَ.

- وَلَستِ مُضطَرَّةً لِأَنْ تَأتي كُلَّ يومٍ كَذلِكَ.

- لَقَد أَلَحَّتْ عَلَيّ أَن أَصحَبَها، وَلَم أَستَطِعْ أَنْ...

- سارَةُ...

الْتَفَتَتْ سارَةُ لَها، وَلِسانُ حالِها يَقولُ إنَّها بَدَأَتْ تَمَلُّ هذِهِ المُحادَثَةَ وَلكِنَّ مَنالَ استَطلَعَتْ:

"أنـا أعلَـمُ أنَّـكِ لَسـتِ مُضطَـرَّةً لِأَنْ تأتـي، وَأعلَـمُ أنَّنـي أصبَحـتُ أُكَـرِّرُ كَلامـي، وَلكِـنْ، لا أَظُـنُّ أنَّنـي سَـأخرُجُ مِـن هُنـا قَريبًـا، وَالأَمـرُ سَـيَزدادُ صَعوبَـةً، وَلا أُريدُ أن يَغلِبَـكِ الأَلَـمُ وَتَتوَقَّفـي عَـن زِيارَتـي فَجـأَةً، فَيَشـعُرَ كِلانـا بِالسّـوءِ... سَـأُفَضِّلُ لَـو فَقَـط قَلَّلْـتِ عَـدَدَ الزِّيـاراتِ لِكَـمٍّ مُريـحٍ لَـكِ عِوَضًا عَن ذلِكَ".

- أَتَعلَمينَ أَيضًا أنَّكِ أولى صَديقاتي عَلى الإطلاقِ؟

- أَعلَمُ، وَلَن أَكونَ الأَخيرَةَ.

- هـذا صَحيـحٌ؛ لِأَنَّـكِ سَـتَترُكينَ هـذا الفِـراشَ يَومًـا مـا، وَسَـنُقيمُ حَفلَـةً حَقيقيَّةً تِلكَ الـمَرَّةَ، دونَ أَن تُـحبَسَ فَتاةٌ في غُرفَةٍ مَعَ شَبَحِ هذِهِ الـمَرَّةَ.

بَكَـتْ سـارَةُ رَغمًـا عَنهـا، فَهِـيَ فـي كُلِّ مَـرَّةٍ تُـحاوِلُ أَن تَكتُـمَ دُموعَهـا وَلكِنْ... أَردَفَتْ وَهِيَ تَـمسَحُ دُموعَها:

"أَتَعلَميـنَ أَيضًـا أَنَّنـي لَـم أَعتَـدِ البُـكاءَ قَبـلَ أَن أُقابِلَـكِ؟ لا بُـدَّ أَنَّ لَـكِ شَخصيَّةً مُؤَثِّرَةً لِلغايَةِ، لَرُبَّما سَتُصبِحينَ مُـمَثِّلَةً بارِعَةً يَومًا ما"

- شُكرًا يا سارَةُ.

- هاه؟

- أَظُـنُّ أَنَّ لَدَيـكِ مَوهِبَـةً رائِعَـةً حَقًّـا، وَيَـجِبُ أَن تَستَغِلّيها يَومًا مـا، أَنـتِ كَذلِكَ.

- مَوهِبَةٌ!! أَتَقصِدينَ التَّكَلُّمَ مَعَ الأَشباحِ؟

- لا، مَوهِبَةُ أَنْ تُساعِدينا، أَن نَستَعِدَّ لِتَرْكِ هذا العالَمِ.

- لا تَقولي هذا.

- وَلكِنّـي أَفعَـلُ، لَقَـد فَكَّـرتُ فيمـا قُلتِـهِ لـي سابِقًا، بِأَنَّ أُمَّـكِ هِـيَ الوَحيـدَةُ الَّتـي بَـدَأَتْ تَـرى الأَشـباحَ عِندَمـا صَدَّقَتْـكِ، وَلكِنَّهـا تُوُفِّيَـتْ بَعدَهـا بِوَقـتٍ قَصيـرٍ... مـاذا لَـو كانَـتِ الـحَقيقَةُ عَكـسَ ذلِـكَ؟ مـاذا لَـو أَنَّنـا نَـرى الأَشباحَ عِندَما يَقتَرِبُ أَوانُنا؟

- ...

- إِنْ كُتِـبَ لـي عُمـرٌ أَطـوَلُ، سَأَعيشُـهُ، وَلكِـنْ، حَتّـى وَإِنْ لَـم يَـحدُثْ هـذا فَأَظُنُّ أَنَّني اليَومَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَصبَحتُ مُستَعِدَّةً.

وَلَـم تكُـنْ مُـخطِئَةً... مُنـذُ ذلِـكَ اليَـومِ، عـادَتْ سـارَةُ عِـدَّةَ مَـرّاتٍ إلـى الـمُستَشفى، تَبحَثُ عَـن وَجْـهِ مَنالَ وَسَـطَ أَشباحِها الكَثيرينَ، وَلَـم تَـجِدْها قَـطُّ، لَـم يَكُـنْ لَدَيْها أَيُّ ضَغائِـنَ، أَو مَـخاوِفَ، أَو أَسبابٍ لِلنَّـدَمِ، حَتّـى تَظَـلَّ عالِقَةً هُنا في عالَـمِنا.

وَلَـم تَستَطِعْ سـارَةُ أَن تَتَوَقَّـفَ عَـنِ اسـتِذكارِ مُحادَثَتِهمـا الأخيـرةِ عندَمـا وَقَفَـتْ أمـامَ قبرِهـا، وفـي كُلِّ مـرَّةٍ ذَهبَـتْ لِزيارَتِهـا بَعدَهـا... لَقَـد كانَـتْ تَعلَـمُ أَنَّ تِلـكَ الـمُحادَثَةَ سَـتُغَيِّرُ حياتَهـا إلـى الأَبَـدِ، وَلكِـنْ، لَـم تَتَخَيَّـلْ إلـى أَيِّ حَدٍّ!

"عَلى مَتْنِ سَفينَةٍ ما، بَعدَ بِضعِ سِنينَ"

عَلى مَتْنِ سَفينَةٍ تُقاوِمُ أَمواجَ أَحَدِ البِحارِ، مُتَّجِهَةٍ إلى إحدى المُدُنِ في إحدى اللَّيالي، حَدَثَتْ جَريمَةٌ بَشِعَةٌ. الجُثَّةُ تَمَّ اكتِشافُها في إحدى الكَبائِنِ: رَجُلٌ في السِّتّينيّاتِ مِن عُمْرِهِ، مُلقًى عَلى الأَرضِ، أُصيبَ بِطَلْقَةٍ في صَدرِهِ، وَتَناثَرَت مِنهُ الدِّماءُ، فَلَوَّثَتْ كُلَّ شَيءٍ، كانَ يَرتَدي ثِيابًا أَنيقَةً تَشي بِثَرائِهِ، وَلكِنْ... لِنَكُنْ صُرَحاءَ؛ فَسَفينَةٌ كَهذِهِ، لا بُدَّ أَن تَكونَ فاحِشَ الثَّراءِ أَو شَخصيَّةً مُهِمَّةً حَقًّا، كَي تَكونَ عَلى مَتْنِها، عَلى أَيَّةِ حالٍ، حَتّى الطّاقِمُ نَفسُهُ كانَ يَتَقاضى أَجرًا كَبيرًا.

زَوجَةُ الضَّحيَّةِ امرَأَةٌ في الثَّلاثينَ مِن عُمرِها، لا تَكُفُّ عَنِ الصُّراخِ كَجَرَسِ إنذارٍ لِكُلِّ مَن عَلى مَتْنِ السَّفينَةِ، يُنذِرُهُم بِأَنَّ هُنالِكَ قاتِلًا طَليقًا، وَعَلَيهِمُ الحَذَرُ، طَبيبٌ يَجْثو فَوقَ الجُثَّةِ، يَتَأَكَّدُ مِمّا هُوَ واضِحٌ لِلعِيانِ، وَقَومٌ مِنَ البَشَرِ يُحيطونَ بِهِ لِيَستَرِقوا النَّظَرَ، وَكَأَنَّها إحْدى فِقْراتِ حَفَلاتِ السَّفينَةِ الأَكثَرِ إثارَةً، وَيَشهَقونَ عِندَما يُعلِنُ الطَّبيبُ أَنَّ الرَّجُلَ قَد ماتَ، وَكَأَنَّها لَيسَتْ مَعلومَةً واضِحَةً.

وَفي وَسَطِ تِلكَ الفَوضى، امرَأَةٌ في العِشرينيّاتِ مِن عُمْرِها، تَرتَدي فُستانًا أَنيقًا وَقُبَّعَةً دائِريَّةً، تَختَرِقُ صُفوفَ الجَمْعِ، حَتّى تَصِلَ إلى الجُثَّةِ، وَتَرمُقَها لِبِضعِ ثَوانٍ، ثُمَّ يَنتَقِلَ نَظَرُها إلى مَن هُم أَقرَبُ مِنها فَتَبدَأُ بِالطَّبيبِ، ثُمَّ زَوجَةِ الضَّحيَّةِ، ثُمَّ أَحَدِ عُمّالِ طاقِمِ السَّفينَةِ وَتَصيحُ في الحَشدِ المُتَفَرِّجِ بِقَليلٍ مِنَ التَّقَزُّزِ؛ فَقَد كانَتْ مُستاءَةً مِن رَدِّ فِعلِهِمُ الَّذي أَظهَرَ قِلَّةَ احتِرامٍ نَحوَ الضَّحيَّةِ: "همممم... نَعَم، أَفسِحوا الطَّريقَ، أَرجوكُم، فَأَنا أَعلَمُ مَن فَعَلَ هذا!"

صاحَ في سُخريَةٍ رَجُلٌ يَرتَدي بَدلَةً مِن طِرازٍ عَجيبٍ، لا تَراهُ عَلى الكَثيرِ مِنَ الرِّجالِ: "رائِعٌ! هذا حَقًّا ما كُنّا نَحتاجُ إلَيهِ، الدَّجّالَةُ الشَّهيرَةُ، الأُستاذَةُ سارَةُ هِيَ مَن سَيَحُلُّ اللُّغزَ طَبعًا، وَلَيسَ رَجُلَ شُرطَةٍ أَو مُحَقِّقًا ما!".

قالَتِ المَرأَةُ الَّتي اتَّضَحَ أَنَّ اسمَها سارَةُ بِمُنتَهى التِّلقائيَّةِ: "واضِحٌ أَنَّ لَدَينا مُجرِمَينِ هذِهِ اللَّيلَةَ، قاتِلَ هذا الرَّجُلِ المِسكينِ، وَأَيًّا مَن كانَ الَّذي صَمَّمَ لَكَ هذِهِ البَدلَةَ الدَّميمَةَ يا سَيِّدي"، فَلَم يَستَطِعِ الرَّجُلُ أَن يَرُدَّ إلّا بِلَعثَمَةٍ مُثيرَةٍ لِلشَّفَقَةِ...

قاطَعَتْها سارَةُ بِإصبَعٍ مُشيرٍ إلى زَوجَةِ الضَّحيَّةِ الَّتي لا تَكُفُّ عَنِ الصُّراخِ كُلَّ بِضعِ ثَوانٍ، قَبلَ أَن تَصيحَ نَحوَها: "أرجوكِ، إنْ لَم يَكُنْ زَوجُكِ غاضِبًا مِمّا فَعَلتِ بِهِ، فَلا تَستَفِزّيهِ أَكثَرَ بِصُراخِكِ المُزعِجِ، لَقَد ماتَ بِالفِعلِ وَتَوَقَّفَ عَن قَولِ اسمِكِ، فَلا تَحتاجينَ إلى أَن تُغرِقي هَمَساتِهِ بِصُراخِكِ".

"مـ ماذا؟"، قالَتِ الزَّوجَةُ، مُحَدِّقَةً بِها في اندِهاشٍ.

"كَما قُلتُ لِلتَّوِّ، أَنتِ مَن قَتَلتِهِ، وَلَرُبَّما كُنّا سَمِعناهُ يُخبِرُنا ذَلِكَ بِنَفسِهِ لَوْ لَم تَملَئي الدُّنيا صُراخًا، وَيَجِثُ فَوقَهُ هَذا الَّذي هُناكَ، وَالَّذي لَيسَ بِطَبيبٍ بَشَريٍّ بِالمُناسَبَةِ، إنَّهُ طَبيبٌ بَيطَريٌّ! وَغالِبًا يَنْوي أَن يُخبِرَ الشُّرطَةَ بِذَلِكَ عِندَما يَبدَؤونَ بِاستِجوابِهِ، وَكَأَنَّهُ سَها عَن ذِكرِ تِلكَ التَّفصيلَةِ المُهِمَّةِ؛ لِأَنَّهُ يَعمَلُ لَدَيكِ! أَو بِالأَحْرى لَدى كَلبِكِ " ليو"، قَبلَ أَن تَتِمَّ تَرقِيَتُهُ إلى مُشارِكٍ مَعَكِ في هَذِهِ الجَريمَةِ، بِإعطائِكِ عَقارًا ما لِتَخديرِ زَوجِكِ... وَفقًا لِزَوجِكِ، فَالعَقارُ أَلقَيتُموهُ في البَحرِ، وَلَكِنْ، إنْ كانَ مُحِقًّا فَلَم يُسعِفْكُمُ الوَقتُ، كَي تَتَخَلَّصوا مِنَ المُسَدَّسِ، وَمِنَ المُفتَرَضِ أَن يَكونَ...".

كانَتْ سارَةُ تَقولُ كُلَّ هَذا، وَهِيَ تَتَّجِهُ نَحوَ مِعطَفِ زَوجَةِ الضَّحيَّةِ لِتُخرِجَ مِن جَيبِهِ الدّاخِليِّ مُسَدَّسًا قَبلَ أَن تَلحَقَ المَرأَةُ وَتَمْنَعَها، ثُمَّ رَفَعَتْهُ عالِيًا في الهَواءِ لِتُرِيَهُ لِلجَميعِ.

"لا تَخافوا، فَأَنا أَرتَدي قُفّازي بِالفِعلِ؛ لِأَنَّني أَعلَمُ كَيفَ أَرتَدي مَلابِسَ مُناسِبَةً لِحَفلَةٍ أَنيقَةٍ كَهَذِهِ، عَلى عَكسِ السَّيِّدَةِ " لَطيفَة هانِم"، الَّتي نَسِيَتْ أَن تَرتَدِيَ قُفّازَيْها، وَأَنا مُتَأَكِّدَةٌ أَنَّهُ يُمكِنُ رَفعُ بَصَماتِها مِن عَلى سَطحِ هَذا الشَّيءِ اللَّعينِ".

صَرَخَتْ "لَطيفَة هانِم" فَجأَةً صَرخَةً مُختَلِفَةً هَذِهِ المَرَّةَ، صَرخَةً ثائِرَةً مُفتَرِيَةً، وَهِيَ تَهجُمُ عَلى سارَةَ، وَلَكِنَّ سَيِّدَةً أُخرى في نَفسِ سِنِّ سارَةَ تَدَخَّلَتْ فَجأَةً لِتُنقِذَها، وَلَم يَعلَمْ أَحَدٌ كَيفَ استَطاعَتْ أَن تَفعَلَ هَذا في الوَقتِ المُناسِبِ! فَقَد بَدا لَهُم، وَكَأَنَّها ظَهَرَتْ هُناكَ فَجأَةً لِتَستَلِمَ قَبضَةَ السَّيِّدَةِ لَطيفَةَ في قَبضَتِها هِيَ، ثُمَّ قَيَّدَتْ حَرَكَتَها بِحَرَكَةٍ مُثيرَةٍ لِلإعجابِ وَأَسقَطَتْها أَرْضًا. كادَ الطَّبيبُ أَن يَهجُمَ عَلَيها فَورًا، وَلَكِنَّها لَم تَتَحَرَّكْ أَو تُعِرْهُ أَيَّ اهتِمامٍ، كَأَنَّها لاحَظَتْ عَلى الفَورِ الرَّجُلَ ذا البَدلَةِ الغَريبَةِ يَتَدَخَّلُ

لِيُقَيِّدَهُ هُوَ الآخَرُ قَبلَ أَن يَنضَمَّ إِلَيهِ آخَرونَ.

ظَـلَّ الطَّبيـبُ وَالسَّـيِّدَةُ لَطيفَـةُ يَصرُخـانِ بِالسَّـيِّدَتَينِ بِعِبـاراتِ الضَّغينَـةِ الـمُتَوَعِّدَةِ، وَلكِـنَّ السَّـيِّدَتَينِ ابتَعَدَتـا، وَتَرَكَتـا الأَمـرَ لِطاقِـمِ السَّـفينَةِ، وَأَحَـدِ الـرُّكّابِ الَّـذي اتَّضَـحَ أَنَّـهُ ذو رُتبَـةٍ عالِيَـةٍ فـي الـجَيشِ، وَلكِـنَّ سـارَةَ لَـم تَبْـدُ مُهتَمَّةً بِأَيٍّ مِن هذا، فَقَد كانَتْ تُـحَدِّثُ الـهَواءَ:

"تَسـتَطيعُ أَن تَرتـاحَ الآنَ يـا سَـيِّدُ نَبيـلُ، سَـيُلاقونَ عِقابَهُـم بِالتَّأكيـدِ، وَلَـن يَذهَـبَ حَقُّـكَ سُـدًى... لِـذا، فَأَنـتَ الآنَ مُسـتَعِدٌّ". ثُـمَّ نَظَـرَتْ إِلـى السَّـيِّدَةِ الَّتـي أَنقَذَتْهـا، وَقَـد كانَـتْ تُراقِـبُ مُـحادَثَتَها القَصيـرَةَ، وَسَـأَلَتْها: "لِـمَن أَدينُ بِالشُّـكرِ إِذا كانَ مِـنَ الـمُمكِنِ أَن أَعـرِفَ؟ أَو بِإِمكانـي أَن أَسـأَلَ رِجالَ الشُّـرطَةِ لاحِقًا عَلى أَيَّةِ حالٍ!".

ضَحِكَـتِ السَّـيِّدَةُ، ثُـمَّ أَزاحَـتْ بِضـعَ خُـصُلاتٍ مِـن شَـعرِها الأَسـوَدِ الطَّويـلِ مِـن عَلـى وَجهِهـا، وَأَجابَتْهـا: "شـيرينُ، لَـم أَكُـنْ أَنـوي أَن تَكـونَ بِدايَـةُ مُقابَلَتِنـا مَشـحونَةً بِهـذا القَـدْرِ، وَلكِـنْ، يَبْـدو أَنَّ القَـدَرَ لَعِـبَ دَورَهُ عَلـى أَيَّـةِ حالٍ".

- ماذا تَقصِدينَ؟ هَل كُنتِ تَنْوينَ أَن تُقابِليني مُسبَقًا قَبلَ كُلِّ هذا؟

- نَعَم.

- لِـماذا؟

- لِأَنَّكِ مَوهوبَةٌ.

- آه... نَعَم، تَقصِدينَ التَّواصُلَ مَعَ العالَمِ الآخَرِ! شَخصٌ ما أَخبَرَني مِن قَبلُ أَنَّ هذِهِ لَيسَتْ مُوهِبَتي الـحَقيقيَّة.

- همم!

- إِنَّها حِكايَةٌ طَويلَةٌ...

- كُنتُ أَتَمَنّى سَماعَها، وَلكِنْ، رُبَّما في وَقتٍ لاحِقٍ، أَنا أَعمَلُ لَدى مُنَظَّمَةٍ تُديرُ شُؤونَ الـمَوهوبينَ مِثلَكِ، وَهِيَ...

لَم تَنتَهِ شيرينُ مِن رَدِّها، قَبلَ أَن يُدَوِّيَ انفِجارٌ مُرعِبٌ في وَسَطِ الـمَدينَةِ الَّتي كانَتْ تَتَّجِهُ إِلَيها السَّفينَةُ، وَأَغرَقَ شَهيقُ وَصُراخُ جَميعِ الـرُّكّابِ صَوتَ كُلِّ شَيءٍ، حَتّى سارَةُ وَضَعَتْ يَدَها عَلى فَمِها، مُحاوِلَةً كَتْمَ صَرخَتِها، وَلكِنَّ شيرينَ أَكمَلَتْ صارِخَةً، حَتّى تَستَطيعَ أَن تَسمَعَها:

"وَهِيَ الآنَ تَجمَعُ فَريقًا لِإِنقاذِ العالَمِ مِنَ الـمُتَسَبِّبينَ في هذا الانفِجارِ وَأُعتَبَرُ أَنا أَوَّلَ عُضوٍ، وَقَد جِئتُ لِأَعرِضَ عَلَيكِ أَن تُصبِحي العُضوَ الثّانيَ!".

صاحَتْ بِها سارَةُ: "عَمَّ تَتَحَدَّثينَ بِاللّهِ عَلَيكِ؟ أَلَم تَرَي هذا الانفِجارَ؟! لَيسَ لَدَينا الـمُتَّسَعُ مِنَ الوَقتِ، يَجِبُ أَن...".

فَجأَةً، تَوَقَّفَ صُراخُ الـرُّكّابِ وَحَرَكَتُهُم، وَكَأَنَّهُ فيلمٌ يَتِمُّ عَرضُهُ عَلى التِّلفازِ قامَ أَحَدُهُم بِالضَّغطِ عَلى زِرِّ إيقافِ التَّشغيلِ، فَلَم يَتَحَرَّكْ راكِبٌ لَم يَتَحَرَّكْ دُخانُ الانفِجارِ، وَلا حَتّى الأَمواجُ أَوِ السَّفينَةُ! فَقَط تَوَقَّفَ كُلُّ شَيءٍ ما عَدا سارَةَ، وَشيرينَ الَّتي أَكمَلَتْ حَديثَها، وَكَأَنَّها كانَتْ مُنتَظِرَةً أَن يَحدُثَ هذا فَقَط، حَتّى تُكمِلَ: "في الـحَقيقَةِ يا أُستاذَةُ سارَةُ، لَدَينا الـمُتَّسَعُ مِنَ الوَقتِ فِعلًا... ساعَةٌ بِالتَّحديدِ".

النِّهايَةُ